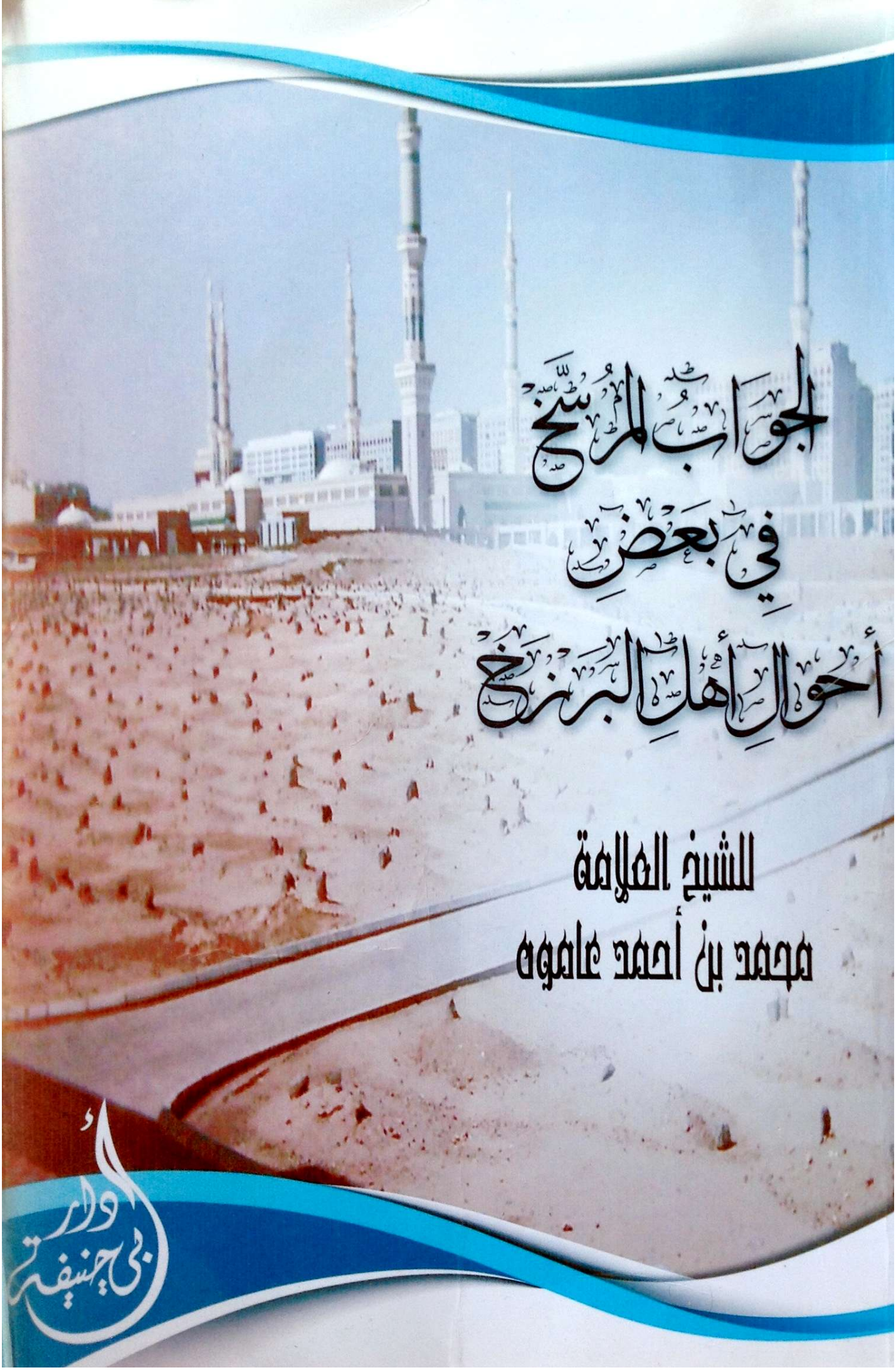

الجواب المرسخ في بعض أحوال أهل البرزخ

للشيخ العلامة

محمد بن أحمد عامودة

دار أبي حنيفة

Scanned by CamScanner

الجواب المرسخ
في بعض
أحوال أهل البرزخ

Scanned by CamScanner

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

دار أبي حنيفة
للنشر والتوزيع
اليمن - الحديدة

يطلب من
السيد عمار / ٧٣٤٥٩٧٨٩٦
لؤي الحنفي / ٧٧٧ ٠٢٤٣ ٢٠
e-mail: daroabihanifah@gmail.com

Scanned by CamScanner

الجواب المرسخ
في بعض
أحوال أهل البرزخ

للشيخ العلامة
محمد بن أحمد عاموه
حفظه الله تعالى

Scanned by CamScanner

Scanned by CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

أمعنت فكري في ميا دين البحوث الصعاب
وسرحت نظري في بطو ن الدفاتر أبغي الصواب
وسجلت درر الرجال ذوي القدر العالي المهاب
ودونت الشرع بالجواب لا ريب إنه فصل الخطاب

Scanned by CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين أما بعد فهذا **الجواب المرسَّخ في بعض أحوال أهل البرزخ** كتبته جواباً على سؤال كريم من أخ كريم مضمونه أنه دار النقاش بين الأخ السائل الكريم وبعض طلبة العلم الشريف حول سماع الموتى خطاب الأحياء واستجابة الأموات لطلبات الأحياء من سؤال الشفاعة لقضاء الحاجات فقال السائل أنَّ الأموات يسمعون الخطاب ويردون الجواب ويشفعون بإذن الله تعالى لمن شاء الله، وقرر الطرف الآخر أنَّ الأموات وإن سمعوا فإنهم لا يردون الجواب ولا يستطيعون الشفاعة في دار البرزخ لأنَّ الميت قد انقطع عمله، وعندما وقع الاختلاف أردنا معرفة الصواب وبسط الجواب مع بيان معنى حديث إذا مات ابن آدم انقطع عمله... مع ثبوت صلاة الأنبياء في قبورهم ومع ثبوت الآثار الواردة في ثبوت ذلك لغير الأنبياء من الصالحين وتأويل حديث نداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأصحاب القليب وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنّهم لا يستطيعون الجواب وجزاكم الله خيرا.

هذا مضمون السؤال الذي حرر بسببه هذا الجواب والله أسأل أن يكتب له القبول وينفع به الخاص والعام ويزيل به ما التبس على بعض الأفهام وأن يجعله وسيلة صالحة لبلوغ المرام والفوز بحسن الختام ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين آمين.

Scanned by CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم
البرزخ

قال الله تعالىٰ ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] فالبرزخ اسمٌ لما بين الدنيا والآخرة، وهذه الآية دالة عليه وهذا البرزخ يُشرِفُ أهله فيه علىٰ الدنيا والآخرة، وعذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه فجعل الله سبحانه وتعالىٰ الدُور ثلاثة دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار وجعل لكل دار أحكاماً تختص بها وركب هذا الإنسان من بدن ونفس وجعل أحكام الدنيا علىٰ الأبدان، والأرواح تبع لها ولهذا جعل الله تعالىٰ الأحكام الشرعية علىٰ ما يظهر من حركات الإنسان والجوارح وإن كان في النفس خلاف ما ظهر منها وجعل أحكام البرزخ علىٰ الأرواح، والأبدان تبع لها فكما تبعت الأرواحُ الأبدانَ في أحكام الدنيا في نعيمها وعذابها تبعت الأبدانُ الأرواحَ في نعيمها وعذابها، فالأرواح في البرزخ هي المباشرة للنعيم والعذاب ثم يسري إلىٰ أبدانها كما تجري أحكام الدنيا علىٰ الأبدان فتسري إلىٰ أرواحها، فالأبدان في الدنيا ظاهرة، والأرواح خفية، والأرواح في البرزخ ظاهرة، والأبدان خفية، وإذا أردت أن تعلم ذلك فخذ مثلاً نوم الشخص في الدنيا فإنه ينعم في حال نومه أو يعذب؟ فهو يجري علىٰ روحه أصلاً والبدن تبعٌ لها، وغالب الناس يشاهد هذا في منامه، قال العلامة المحدث أبو عبدالله محمد بن محمد المنبجي الحنبلي المتوفىٰ سنة ٧٨٥هـ في كتابه تسلية أهل المصاب أخبرني نصير المقدسي وكان من صلحاء أهل مدرسة شيخ الإسلام أبي عمر قال: لِيَ ثلاث ليال أرىٰ في النوم كأن أناساً يستعملونني بالفاعل (أي الأعمال الشاقة إذ في الشام يطلقون علىٰ كل من يعمل أعمالاً شاقة يعمل بالفاعل) وأخاف منهم خوفاً شديداً فأعمل ثم أصبح في

Scanned by CamScanner

هذه الأيام وأنا تعبان في غاية التعب ثم قال لي انظر إلى يدي فنظرت وإذا بكفيه شلافيط كبار فكان ينزل الفجر يقرئ الناس فامتنع من النزول في تلك الأيام ثم إني أرشدته إلى ذكر يقوله عند النوم لعله أن يصرف عنه ما يجد، وربما قص عليَّ منامات لبعض الناس يرى أنه يأكل أو يشرب فيستيقظ وهو يجد أثر الطعام والشراب في فيه وأعجب من ذلك أنك ترى النائم يقوم في حال نومه ويبطش ويضرب في الهواء أو يدافع عن نفسه وربما صرخ بأعلى صوته كأنه يقظان وهو لا شعور له بشيء من ذلك لأن الروح استعانت بالبدن ولو دخلت فيه لاستيقظ وإنما مثلتُ لك ذلك حتى تعلم صحة ما ذكرته لك في أول هذا الفصل والله أعلم انتهى وما بين القوسين تعليقة للعلامة بشير محمد عيون.

قال محمد بن كعب البرزخ ما بين الدنيا والآخرة ليسوا مع أهل الدنيا يأكلون ويشربون ولا مع أهل الآخرة يجازون بأعمالهم ا.هـ تفسير ابن كثير رحمه الله، وقال مجاهد البرزخ الحاجز ما بين الدنيا والآخرة ا.هـ تفسير ابن كثير رحمه الله.

Scanned by CamScanner

إثبات حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في البرزخ وأنها حياة حقيقية

في البداية لابد من تحرير المصطلحات في هذه القضية فإن أكثر المشكلات تزول بمجرد تحرير المصطلحات إذا فهمت هذا فاعلم أننا حينما نتكلم عن حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا نقصد عدم انتقال من مات منهم من حياتنا الدنيا لبطلان هذا بنص القرآن العظيم قال الله تعالىٰ مخاطباً لحبيبه محمد صلىٰ الله عليه وسلم ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر:٣٠] فالنبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم انتقل من هذه الحياة الدنيا وقبضه الله تعالىٰ إليه ولكن بانتقاله هذا لم ينقطع عنا صلىٰ الله عليه وآله وسلم وله حياة أخرىٰ هي حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهي التي تسمىٰ الحياة بعد الموت وحياة نبينا صلىٰ الله عليه وآله وسلم وكذا سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد انتقالهم من الدنيا حياة حقيقية كاملة هذه الحياة الحقيقية الكاملة الثابتة لهم بعد الانتقال من الدنيا هي التي نبرهن عليها وندلل لها في هذا المبحث.

أولاً: الأدلة القرآنية:

١- قال تعالىٰ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] فإن هذه الآية عامة تشمل حالة الحياة وحالة الوفاة قال المحقق الكوثري رحمه الله وتخصيص قوله تعالىٰ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ بما قبل الموت تخصيص بدون حجة عن هوىٰ وترك المطلق علىٰ إطلاقه مما اتفق عليه أهل الحق والتقييد لا يكون إلا بحجة

Scanned by CamScanner

ولا حجة هنا تقيد الآية بل فقهاء المذاهب حتىٰ الحنابلة علىٰ شمول الآية لما بعد الموت ا.هـ مقالات الكوثري رحمه الله.

وقال شيخ مشايخنا العلامة عبدالله بن الصديق الغماري رحمه الله هذه الآية عامة تشمل حالة الحياة وحالة الوفاة وتخصيصها بأحدهما يحتاج إلىٰ دليل وهو مفقود هنا فإن قيل من أين أتىٰ العموم للآية حتىٰ يكون تخصيصها بحالة الحياة دعوىٰ تحتاج إلىٰ دليل.

قلنا من وقوع الفعل في سياق الشرط والقاعدة المقررة في الأصول أن الفعل إذا وقع في سياق الشرط كان عاماً لأن الفعل في معنىٰ النكرة لتضمنه مصدراً منكراً، والنكرة الواقعة في سياق النفي أو الشرط تكون للعموم وضعاً.

٢- قال تعالىٰ ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:١٥٤].

وقال تعالىٰ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] قال ابن حزم رحمه الله في المحلىٰ بعد ذكره الآيات الواردة في حياة الشهداء ما نصه (ولا خلاف بين المسلمين في أنَّ الأنبياء عليهم السلام أرفع قدراً ودرجة وأتمَ فضيلة عند الله عز وجل وأعلىٰ كرامة من كل من دونهم ومن خالف في هذا فليس مسلماً).

أقول الإجماع منعقدٌ علىٰ أن الأنبياء أرفع درجة من الشهداء فإذا ثبتت حياة الشهداء فالأنبياء من باب أولىٰ.

قال ابن القيم رحمه الله في كتاب الروح ص ٤٦ نقلاً عن أبي عبدالله القرطبي صاحب التذكرة وهو عن شيخه أحمد بن عمر أحد الأئمة

Scanned by CamScanner

١٢- وألف الحافظ المحدث عبدالعظيم المنذري رسالة سماها زوال الظمأ في ذكر من استغاث برسول الله من الشدة والعمى ا.هـ. ذكره صاحب هدية العارفين.

١٣- قال أحمد بن حنبل رحمه الله في منسكه الذي كتبه لأبي بكر المروذي أنه يتوسل به ﷺ في دعائه.

١٤- وتمسح الحافظ عبدالغني المقدسي الحنبلي بقبر الإمام أحمد للاستشفاء لدمامل أعيا الأطباء مذكور في الحكايات المنثورة للحافظ الضياء المقدسي سماعاً من شيخه المذكور والكتاب محفوظ بظاهرية دمشق وهو بخط المؤلف.

قال في محق التقول صـ١١١ وأما من جهة المعقول فإن أمثال الإمام فخر الدين الرازي والعلامة سعد الدين التفتازاني والعلامة السيد الشريف الجرجاني وغيرهم من كبار أئمة أصول الدين يفزع إليهم في حل المشكلات في أصول الديانة قد صرحوا بجواز التوسل بالأنبياء والصالحين أحياءً وأمواتاً وأي ضعيف يستطيع أن يرميهم بعبادة القبور والدعوة إلى الإشراك بالله وإليهم تفزع الأمة في معرفة الإيمان والكفر والتوحيد والإشراك والدين الخالص.

والمدد كله عند الجميع من مسبب الأسباب جل جلاله ثم ساق نصوصهم.

Scanned by CamScanner

الكبار اختصر الصحيحين، وصنف كتاب المفهم في شرح مختصر مسلم المتوفى سنة ٦٥٦هـ ما نصه (الموت ليس بعدم محض وإنما هو انتقال من حال إلى حال ويدل على ذلك أن الشهداء بعدً قتلهم وموتهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين وهذه صفة الأحياء في الدنيا وإذا كان هذا في الشهداء كان الأنبياء بذلك أحق وأولى مع أنه قد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء وأنه صلى الله عليه وآله وسلم اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس، وفي السماء خصوصاً موسى وقد أخبر بأنه ما من مسلم يسلم عليه إلاّ ردَ الله عليه روحه حتى يردَّ عليه السلام إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غيِّبوا عنا بحيث لا ندركهم وإن كانوا موجودين أحياء وذلك كالحال في الملائكة فإنهم أحياء موجودون ولا نراهم ا.هـ.

وقد نقل كلام القرطبي هذا وأقره أيضاً العلامة محمد السفاريني الحنبلي في شرحه لعقيدة أهل السنة، وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري بعد نقل كلام البيهقي في حياة الأنبياء على حديث أبي هريرة في رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأنبياء ليلة الإسراء ما نصه وإذا ثبت أنهم أحياء من حيث النقل فإنه يقويه من حيث النظر كون الشهداء أحياء بنص القرآن والأنبياء أفضل من الشهداء ا.هـ.

وقال الإمام البيهقي في كتاب الاعتقاد ما نصه (والأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد ما قبضوا ردت إليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم كالشهداء وقد رأى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم جماعة منهم ليلة المعراج وأمر بالصلاة والسلام عليه وأخبر وخبره صدق أن صلاتنا معروضة عليه وأن سلامنا يبلغه وأن الله حرم على الأرض أن تأكل

Scanned by CamScanner

أجساد الأنبياء وقد أفردنا لإثبات حياتهم كتاباً فنبينا صلى الله عليه وآله وسلم كان مكتوباً عند الله عز وجل قبل أن يخلق نبياً ورسولاً وهو بعدما قبضه الله عز وجل نبي الله ورسوله وصفيه وخيرته من خلقه) ا.هـ.

أقول وقد جمع الله عز وجل لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع النبوة وهي أعلى مقاماً مقام الشهادة قال الحافظ السخاوي رحمه الله في القول البديع فإن الشهادة حاصلة له صلى الله عليه وآله وسلم على أتم الوجوه لأنه شهيد الشهداء وقد صرح ابن عباس و ابن مسعود وغيرهما رضي الله عنهم بأنه صلى الله عليه وآله وسلم مات شهيداً والله الموفق.

ثانياً: الأدلة من السنة النبوية الشريفة:

اعلم وفقني الله وإياك لما يحب ويرضى أنَّ ما ورد في السنة من الأدلة على حياة الأنبياء في قبورهم شيء كثير سنذكر بعضه وقد نص كثير من الأئمة والحفاظ كالقرطبي في التذكرة وابن القيم في كتاب الروح والحافظ السيوطي في غير ما كتاب من كتبه على أن أحاديث حياة الأنبياء في قبورهم متواترة قال الحافظ السيوطي في مرقاة الصعود تواترت بها الأخبار وقال السيوطي رحمه الله أيضاً في إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء ما نصه (حياة النبي في قبره هو وسائر الأنبياء معلومة عندنا علماً قطعياً لما قام عندنا من الأدلة في ذلك وتواترت به الأخبار الدالة على ذلك) ا.هـ، ونص الإمام محمد بن جعفر الكتاني على تواتر حديث الأنبياء أحياء في قبورهم انظر كتابه (نظم المتناثر) إذا علمت هذا فإليك طائفة من النصوص النبوية في الباب:

١- قال الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري الشهير بالبزار المتوفى بالرملة سنة ٢٩٢هـ في مسنده المشهور،

Scanned by CamScanner

حدثنا يوسف بن موسىٰ حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد عن سفيان عن عبدالله بن السائب عن زادان عن عبدالله – يعني ابن مسعود رضي الله تعالىٰ عنه عن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم قال (إنّ لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام قال، وقال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم (حياتي خيرٌ لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خيرٌ لكم تعرض عليَّ أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله عز وجل وما رأيت من شرٍ استغفرت الله لكم) قال البزار لا نعلمه يروىٰ عن عبدالله إلاَّ بهذا الإسناد ا.هـ، قال الحافظ زين الدين العراقي في كتاب الجنائز من (طرح التثريب في شرح التقريب) إسناده جيد، وقال الحافظ نور الدين الهيتمي في (مجمع الزوائد) رجال إسناده رجال الصحيح، وكذا قال الحافظ القسطلاني في شرح البخاري، وقال الحافظ جلال الدين السيوطي في (الخصائص الكبرىٰ) إسناده صحيح وكذا قال ملا علي القاري، والشهاب الخفاجي في شرحيهما علىٰ الشفا للقاضي عياض وقال الزرقاني في شرح المواهب إسناده جيد، قال العلامة المحدث عبدالله بن الصديق الغماري وما حكم به هؤلاء صحيح لا غبار عليه لأن رجال السند كلهم ثقات علىٰ شرط الصحيح وما رمي به ابن أبي رواد من الإرجاء وغيره لا يضره بعد أن روىٰ عنه كبار الأئمة مثل الشافعي، وأحمد، وابن معين وصرح بتوثيقه أحمد، وابن معين، وأبو داود، والنسائي، واحتج به مسلم والأربعة فلا عبرة بمن ضعفه بعد هذا خصوصاً ابن حبان فإنه يبالغ في الجرح قال الذهبي في ترجمة أفلح بن سعيد المدني من الميزان ابن حبان ربما قصب[1] الثقة حتىٰ كأنه لا يدري ما يخرج من رأسه ا.هـ، وقال في ترجمة أيوب بن عبد السلام ابن حبان

---

(١) أي أصاب قصبه ، وهي أمعاؤه كناية عن مبالغته في التجريح.

Scanned by CamScanner

صاحب تشنيع وتشغيب ا.هـ، فالحديث من هذا الطريق على شرط مسلم ا.هـ كلام الغماري، وله في تصحيح هذا الحديث كتاب حافل سماه (نهاية الآمال في صحة وشرح حديث عرض الأعمال) قال العلامة يوسف الدجوي رحمه الله هذا الحديث متواتر تواتراً معنوياً لورود معناه من حديث جماعة من الصحابة يبلغ عددهم حد التواتر وهم عبدالله بن مسعود ولحديثه طرق تزيد على الخمسة، وأنس بن مالك ولحديثه طرق تزيد على الستة، وأبو هريرة ولحديثه طرق تزيد على العشرة، وعمار بن ياسر، وأبو أمامة، وعلي ابن أبي طالب، وابنه الحسن، وابن عباس، وأبو بكر الصديق، وأوس ابن أوس الثقفي، وأبو الدرداء، وأبو مسعود البدري الأنصاري وعمر بن الخطاب، وابنه عبدالله بن عمر، وروي مرسلاً عن جماعة من التابعين منهم بكر بن عبدالله المزني، والحسن البصري، وخالد بن معدان، وابن شهاب الزهري، ويزيد الرقاشي، وأيوب السختياني، وفي الباب غير المذكورين من الصحابة والتابعين، وهذا القدر كاف في إثبات التواتر خصوصاً على رأي من يثبته بسبعة أو عشرة وهو الذي رجحه الحافظ السيوطي في (الفيته) حيث قال:

وما رواه عدد جم يجب إحالة اجتماعهم على الكذب
فمتواتر وقوم حددو بعشرة وهو لديَّ أجود

ومشى عليه في كتابه (الفوائد المتكاثرة)، ومختصره (الأزهار المتناثرة) فحكم بتواتر أحاديث لا تزيد طرقها على العشرة وهناك من يكتفي في التواتر بأقل من ذلك كما هو مبين في كتب الأصول وغيرها وقد ذكرنا لك ما يزيد على العشرين، وقد حكم جماعة من الأقدمين بالتواتر في الخمسة والأربعة، ومنهم ابن حزم في (المحلى، والإحكام)، والطحاوي في شرح

Scanned by CamScanner

(معاني الآثار)، والقاضي أبو الطيب الطبري، وغيرهم أما حديثنا فمتواتر على جميع الإصطلاحات لوجود ما يزيد على العشرين في كل طبقة من طبقات رواته، ولسنا ندعي تواتر لفظ هذا الحديث بل تواتر معناه فإياك وتلبيس المغالطين، أو غلط الجاهلين، ثم نقول بعد هذا أنه تقرر في كتب الفقه والأصول والكلام أن مُنكِر المتواتر بعد قيام الحجة عليه يكفر فإياك والإنكار أو الإصغاء لأولئك الجاهلين المتفيهقين فإنهم على شفا جُرفٍ هار ا.هـ كلام حجة الإسلام الشيخ يوسف الدجوي رحمه الله منقولاً من مقالاته وفتاواه، قال الشيخ عبدالله بن صديق الغماري في نهاية الآمال يؤخذ من الحديث حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قبره الشريف وهي حياة برزخية أكمل من حياة الشهداء قال الله تعالى ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، وقال تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٠] قال الإمام ابن حزم في المحلى ولا خلاف بين مُسْلِمَين – بفتح الميم الثانية تثنية مُسْلِم – في أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أرفع قدراً ودرجة وأتم فضيلة عند الله عز وجل وأعلى كرامة من كل من دونهم ومن خالف في هذا فليس مسلماً ا.هـ.

٢- عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (الأنبياءُ أحياءٌ في قبورهم يصلون) أخرجه البيهقي، وأبو يعلى وهو حديث صحيح، قال الحافظ نور الدين الهيتمي في مجمع الزوائد رواه أبو يعلى، والبزار ورجال أبي يعلى ثقات، وصححه المناوي في فيض القدير، وقال الكتاني في نظم المتناثر أنه حديث متواتر.

Scanned by CamScanner

حكم الحديث على جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أنهم أحياء في قبورهم يفعلون فعل الأحياء في الدنيا وهو الصلاة ذات الركوع والسجود والقيام والقعود والقرآن وذكر الله تعالى وهي أعمال لو شك شاكٌ في حياة فاعلها لكان شاكاً في حياة نفسه.

٣- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (قال أتيت موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره) أخرجه مسلم واللفظ له وأخرجه أبو نعيم في الحلية، والنسائي، وابن حبان في صحيحه، وأبو يعلى، وأحمد في مسنده جميعاً من طرق عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وحديث الإسراء ورد من طريق خمسة وأربعين صحابياً وقد نص الحاكم، والحافظ السيوطي على أن حديث الإسراء متواتر، قال الحافظ السيوطي في شرح النسائي قال الشيخ بدر الدين بن الصاحب في مؤلف له في حياة الأنبياء هذا صريح في إثبات الحياة لموسى في قبره فإنه وصفه بالصلاة وأنه قائم ومثل ذلك لا يوصف به الروح وإنما يوصف به الجسد وفي تخصيصه بالقبر دليل على هذا فإنه لو كان من أوصاف الروح لم يحتج لتخصيصه بالقبر، وقال السيوطي في إنباء الأذكياء قال الشيخ عفيف الدين اليافعي الأولياء ترد عليهم أحوال يشاهدون فيها ملكوت السموات والأرض، وينظرون الأنبياء أحياء غير أموات كما نظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى موسى عليه السلام في قبره قال وقد تقرر أن ما جاز للأنبياء معجزة جاز للأولياء كرامة بشرط عدم التحدي قال ولا ينكر ذلك إلاّ جاهل ا.هـ.

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقد رأيتني في الحجر وأنا أخبر قريشاً عن مسراي فسألوني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربة ما كربت مثلها قط فرفعه الله تعالى لي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلاّ أنبأتهم به وقد رأيتني

Scanned by CamScanner

في جماعة من الأنبياء فإذا موسىٰ قائم يصلي فإذا رجل ضرب[٢] جعد كأنه من رجال شنوءة[٣] وإذا عيسىٰ بن مريم قائم يصلي أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم يعني نفسه فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال لي قائل يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت إليه فبدأني بالسلام، قال الحافظ البيهقي أخرجه مسلم في الصحيح من حديث عبد العزيز[٤] وفي حديث سعيد بن المسيب وغيره أنه لقيهم في بيت المقدس وفي حديث أبي ذر، ومالك بن صعصعة في قصة المعراج أنه لقيهم في جماعة الأنبياء في السموات وكلمهم وكلموه وكل ذلك صحيح لا يخالف بعضه بعضاً فقد يُرىٰ موسىٰ عليه السلام قائماً يصلي في قبره ثم يُسرىٰ بموسىٰ وغيره إلىٰ بيت المقدس كما أسري بنبينا صلىٰ الله عليه وآله وسلم فيراهم ثم يعرجُ بهم إلىٰ السموات كما عرج بنبينا صلىٰ الله عليه وآله وسلم فيراهم فيها كما أخبر، وصلاتهم في أوقات بمواضع مختلفات جائز في العقل كما ورد بها خبر الصادق وفي كل ذلك دلالة علىٰ حياتهم ا.هـ كلام شيخ السنة البيهقي رحمه الله، وقد سبق أن حديث الإسراء متواتر مروي من طريق خمسة وأربعين صحابي رضوان الله عليهم، قال تقي الدين السبكي في (شفاء السقام) إن الصلاة تستدعي جسداً حياً وكذلك الصفات المذكورة في الأنبياء ليلة الإسراء كلها

---

(٢) ضَرْب : الرجل بين الرجلين في كثرة اللحم وقلته وقال النووي قال أهل اللغة الضرب هو الرجل الخفيف اللحم.

(٣) ازد شنوءة حيٌّ من اليمن.

(٤) أقول وأخرجه البخاري والترمذي وأحمد من طرق أخرىٰ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

Scanned by CamScanner

صفات الأجسام ولا يلزم من كونها حياة حقيقية أن تكون الأبدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج إلى الطعام والشراب والامتناع عن النفوذ في الحجاب الكثيف وغير ذلك من صفات الأجسام التي نشاهدها بل يكون لها حكم آخر فليس في العقل ما يمنع من إثبات الحياة الحقيقية لهم ا.هـ.

٥- روى الطبراني أنه صلى الله عليه وآله وسلم (قال كأني أنظر إلى موسى في هذا الوادي محرماً بين قطوانيتين) القطوانية العباءة البيضاء المنسوبة إلى قطوان بلدة بالعراق، وروى ابن ماجه، وأحمد، ومسلم أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال (كأني أنظر إلى موسى هابطاً من الثنية[٥] وله جؤَارٌ[٦] إلى الله تعالى بالتلبية كأني أنظر إلى يونس بن متى على ناقة حمراء جَعْدة[٧] عليه جبة من صوف خِطام ناقته خُلْبَةٌ[٨] ماراً بهذا الوادي ملبياً) هذا الحديث وما قبله يثبتان أنَّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يشاهدون خارج قبورهم لابسين الثياب ماشين أو راكبين ويذهبون إلى حيث يحجون ويلبون ويراهم بعينه من كشف الله عن بصيرته من العباد، وأنت لا تشك في أنَّ سيدنا موسى وسيدنا يونس انتقلا إلى الرفيق الأعلى قبل أن يوجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدهور، إذاً لا شك أنَّ نظره صلى الله عليه وآله وسلم إليهما وهما ذاهبان إلى الحج يلبيان إنما كان وهما في عالم البرزخ، كل هذا نقوله إذا كان ما نروي كلاماً موضوعاً وضعاً عربياً وعلى قواعد الوضع العربي تفهمه العقول وليس هناك استحالة

---

(٥) مكان مرتفع.
(٦) صوت مرتفع.
(٧) مجتمعة الخلق شديدته.
(٨) ليف.

Scanned by CamScanner

عقلية أو شرعية تمنع من فهمه على ظاهره وإنا بعد أن نفهمه هكذا لا نستطيع أن نتردد في حياة الأنبياء في قبورهم الحياة الحقيقية التي يفعلون معها ما يفعله أقوياء الرجال فإن السفر إلى الحج ليس من الأمور التي يستطيع فعلها كل حي وإنا إذا ترددنا في ذلك فقد وقفنا أمام كلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم موقف التكذيب وهو موقف لا يقوى عليه ذو دِين خصوصاً إذا لاحظنا ما قرره العلماء من أنّ العدول عن ظواهر النصوص من غير مقتضى قاطع – إلى معانٍ يدّعيها أهل الباطن إلحاد وكفر والله أعلم.

٦- عن أوس بن أوس قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (أفضل أيامكم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض، وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليَّ، قالوا وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ يقولون بليت فقال إن الله قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام) أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم والبيهقي، وقال الحاكم صحيح على شرط البخاري وسلمه الذهبي وصححه ابن خزيمة، وابن حبان، والحافظ عبد الغني بن سعيد المقدسي، والنووي في الأذكار، والقرطبي في التذكرة، والحافظ أبو الخطاب بن دحيه، وغيرهم وبعضهم أعلّ الحديث بأنه من رواية عبد الرحمن بن يزيد بن تميم الضعيف، ولكن حسين الجعفي اشتبه عليه الأمر فجعله من رواية عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الثقة وهذا إعلال باطل بيّن بطلانه الحافظ الدارقطني في حواشيه على كتاب أبي حاتم الرازي في الضعفاء، وذكر أن حسيناً الجعفي روى الحديث عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر تحقيقاً من غير اشتباه.

Scanned by CamScanner

٧- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أكثروا الصلاة عليَّ يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة وإن أحداً لن يصلي عليَّ إلا عرضت عليَّ صلاته حتى يفرغ منها قال: قلت وبعد الموت؟ قال وبعد الموت. إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فنبيُّ الله حيٌّ يرزق) أخرجه ابن ماجه، وهكذا رواه ابن وهب في جامعه، قال الحافظ المنذري إسناده جيد، وكذا قال العلامة السيد السمهودي في وفاء الوفاء، وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب رجاله ثقات لكن أشار إلى انقطاع فيه، وكذا فعل تلميذه الحافظ السخاوي في (القول البديع)،وصححه الحافظ البوصيري مع الإشارة إلى انقطاعه أيضاً وقال الحافظ ابن عبد الهادي المقدسي في الصارم المنكي، وهذا الحديث وإن كان فيه شيء فهو شاهد لغيره وعاضدٌ له.

أقول وللحديث شواهد كثيرة تجعله صحيحاً والله أعلم.

٨- قال الحافظ البيهقي رحمه الله ومما يدل على حياتهم ما أخبرنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحافظ أخبرني أبو محمد المزني حدثنا علي ابن محمد بن عيسى حدثنا أبو اليمان أنبأنا شعيب عن الزهري قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن، وسعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال استب رجلٌ من المسلمين ورجلٌ من اليهود فقال المسلم والذي اصطفى محمداً على العالمين، فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين فرفع المسلم عند ذلك يده فلطم وجه اليهودي، فذهب اليهودي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره بالذي كان من أمره وأمر المسلم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله عز وجل) رواه البخاري في

Scanned by CamScanner

الصحيح عن أبي اليمان ورواه مسلم عن عبدالله بن عبد الرحمن وغيره عن أبي اليمان وفي الحديث الثابت عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم أنه قال (لا تفضلوا بين أنبياء الله تعالىٰ فإنه ينفخ في الصور ليصعق من في السموات ومن في الأرض إلاَّ من يشاء الله نفخ فيه أخرىٰ فأكون أول من بعث فإذا موسىٰ آخذٌ بالعرش فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور أم بعث قبلي)، وهذا إنما يصح علىٰ أن الله جل ثناؤه رد إلىٰ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أرواحهم فهم أحياء عند ربهم كالشهداء فإذا نفخ في النفخة الأولىٰ صعقوا ثم لا يكون ذلك موتاً في جميع معانيه إلاَّ في ذهاب الاستشعار فإن كان موسىٰ عليه السلام ممن استثنىٰ الله عز وجل بقوله (إلاَّ من شاء الله) فإنه عز وجل لا يذهب باستشعاره في تلك الحالة ويحاسبه بصعقة يوم الطور ا.هـ كلام البيهقي.

فائدة:

أخرج الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم أنه سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر:٦٨] مَن الذين لم يشأ الله أن يصعقهم قال (هم شهداء الله عز وجل) قال الحاكم صحيح الإسناد وأقره الذهبي وقال الحافظ في الفتح رواته ثقات.

٩- أخرج أبو يعلىٰ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم قال (والذي نفس أبي القاسم بيده لينزلن عيسىٰ بن مريم إماماً مقسطاً وحكماً عدلاً فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليصلحن ذات البين وليذهبنَّ الشحناء وليعرضن المال فلا يقبله ثم لئن

Scanned by CamScanner

قام على قبري فقال يا محمد لأجيبنه) وأخرجه الحاكم بصيغة التأكيد (وليأتين قبري حتى يسلم عليَّ ولأردنَّ عليه، قال أبو هريرة أي بني أخي إن رأيتموه فقولوا أبو هريرة يقرئك السلام) وصححه الحاكم والذهبي وأورده الحافظ ابن حجر العسقلاني في (المطالب العالية) مختصراً وترجم عليه باب حياته صلى الله عليه وآله وسلم في قبره.

أقول وأصل الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة دون زيادة قوله (ولئن قام على قبري) والنصوص في الباب كثيرة ومقصودنا الإشارة لا الاستقصاء.

ثالثاً دلالة الإجماع:

قال العلامة أحمد بن الصديق الغماري رحمه الله الأنبياء أحياء في قبورهم وأجسادهم لا تبلى، والإجماع منعقد على هذا كما حكاه غير واحد منهم ابن حزم، والسخاوي في المقاصد الحسنة، وغيرهما للنصوص الصريحة، والدلائل الكثيرة القاطعة فمن أفتى بفناء أجسادهم فقد خرق الإجماع وكذّب بما صح عن الله والرسول فقد ذكر الله تعالى في غير آية من القرآن أنَّ الشهداء أحياء في قبورهم، وأجمع المسلمون على أن الأنبياء أرفع درجة من الشهداء، قال ابن حزم بعد ذكره الآيات الواردة في أن الشهداء أحياءٌ ما نصه (ولا خلاف بين المسلمين في أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أرفع درجة وأتم فضيلة عند الله عز وجل وأعلى كرامة من كل من دونهم ومن خالف في هذا فليس مسلماً) ا.هـ نقله عن العلامة أحمد الغماري شيخ مشايخنا العلامة عبدالله بن صديق الغماري في (الرد المحكم المتين) ص٢٢٩ وممن نقل الإجماع أيضاً ابن حجر الهيتمي في الدر المنضود ص١٢٠ ويأتي كلامه في نصوص العلماء وأختم هذا المبحث بذكر بعض النصوص عن العلماء المعتبرين تؤكد ما قررناه.

Scanned by CamScanner

رابعاً نصوص العلماء في الباب:

نصوص العلماء في الباب كثيرة، والاستقصاء لنقل نصوصهم فيه طول ولكن نستأنس بالإشارة إلى بعض نصوصهم:

١- السيدة عائشة رضي الله عنها قالت (كنت أدخل بيتي الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي وإني واضع - التذكير باعتبار أنها شخص - ثوبي وأقول إنما هو زوجي وأبي فلما دفن عمر معهم فوالله ما دخلت إلاَّ وأنا مشدودة عليَّ ثيابي حياء من عمر) رواه أحمد وهو تقرير منها واضح جداً أنه صلى الله عليه وآله وسلم بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى لا يزال زوجها لا حرج عليها أن يرى منها ما لا يراه الأجنبي وهو لا يكون كذلك إلاَّ إذا كان حياً حياة حقيقية وهذا يؤيد ما صرح به بعض العلماء من أنَّ نساءه صلى الله عليه وآله وسلم ما كنَّ في عدة منه صلى الله عليه وآله وسلم عقب انتقاله من هذه الدار بل كان نِكاحهن لا يزال قائماً بينه وبينهن ومن أجل هذ حرم على غيره صلى الله عليه وآله وسلم أن ينكحهن رضي الله عنهن، ومما يدل دلالة واضحة على حياة الأنبياء صلى الله عليهم بعد انتقالهم من الدنيا أن المال الذي يتركونه لا يورث عنهم وإنما يكون صدقة من الصدقات كما يتصدق الحي بماله ولو كانوا أمواتاً لكانت تركتهم كسائر تركات الأموات تورث عنهم لوارثيهم.

وإني ألفت نظر القارئ إلى تحفظ السيدة عائشة رضي الله عنها بالتستر البالغ إذا أرادت الدخول على زوجها وأبيها لما دفن معهما سيدنا عمر رضي الله عنه حياءً منه فإن ذلك يفهمنا أنها لا تشك في أن سيدنا عمر يراها كما أنها لا تشك في أن والدها يراها ولكنها ما كانت تتحفظ منه بذلك التستر لأن أباها يجوز له أن يرى من بدنها ما ينكشف إذا ألقت

Scanned by CamScanner

ثيابها التي تستر بها من الأجانب وهذا الذي تصرح به السيدة الجليلة لم تخترعه من نفسها بل صرح به رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم في قوله(وما أبالي قضيت حاجتي علىٰ القبور أو في السوق والناس ينظرون) رواه ابن ماجه من حديث طويل، وهو خبر نبوي يفهم في وضوح أن الأموات يرون ما يفعل عندهم كما يرىٰ الأحياء بلا تفاوت ولذلك لم يفرق صلىٰ الله عليه وآله وسلم بين من يقضي حاجته عندهم وبين من يقضيها في السوق مجتَمع الناس وهم ينظرون إليه في أنه يرىٰ لهؤلاء كما يرىٰ لهؤلاء وهو منكشف العورة وحينئذ لا يجوز ذلك عند الأموات كما لا يجوز أمام الأحياء ا.هـ نقلاً عن غوث العباد ببيان الرشاد للعلامة مصطفىٰ يوسف الحمامي صـ ١٠: ١١.

٢- بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة رضي الله عنهم قال ابن أبي شيبة في مصنفه حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن مالك الدار قال وكان خازن عمر علىٰ الطعام قال أصاب الناس قحطٌ في زمن عمر فجاء رجل إلىٰ قبر النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم فقال (يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا فأتىٰ الرجل في المنام فقيل له ائت عمر فأقرئه السلام وأخبره أنكم مسقيون وقل له عليك الكيس عليك الكيس فأتىٰ عمر فأخبره فبكىٰ عمر ثم قال يارب لا آلو إلاّ ما عجزت عنه) وأخرجه من هذا الوجه ابن أبي خيثمة كما في الإصابة والبيهقي في الدلائل، والخليلي في الإرشاد، وابن عبد البر في الإستيعاب وقال الحافظ في الفتح وقد روىٰ سيف في الفتوح أن الذي رأىٰ المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة، وهذا الحديث صحيح صححه الحافظان ابن كثير في البداية والنهاية، وقال في جامع المسانيد مسند عمر إسناده قوي جداً، والحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري.

Scanned by CamScanner

٣ـ نقل السبكي رحمه الله في طبقاته عن ابن فورك أنه صلى الله عليه وآله وسلم حي في قبره رسول إلى الأبد حقيقة لا مجازاً.

٤ـ قال ابن عقيل من الحنابلة هو صلى الله عليه وآله وسلم حي في قبره يصلي بأذان وإقامة في أوقات الصلوات.

٥ـ قال العلامة عبد الحافظ بن علي المالكي المتوفى ١٣٠٣هـ الأشعري وأصحابه قائلون بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في القبر حي يحس ويعلم وتعرض عليه أعمال الأمة والله سبحانه وتعالى خلق ملائكة سياحين يبلغون إليه الصلاة من أمته وهو صلى الله عليه وآله وسلم يرد عليهم.

٦ـ سئل هبة الله بن عبدالرحيم البارزي الشافعي الفقيه المحدث المتوفى سنة ٧٣٨هـ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هل هو حي بعد وفاته فأجاب أنه صلى الله عليه وآله وسلم حي.

٧ـ قال الأستاذ أبو منصور البغدادي المتوفى ٤٢٩هـ قال المتكلمون المحققون من أصحابنا أن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم حي بعد وفاته وأنه يُسر بطاعات أمته ويحزن بمعاصي العصاة منهم وأنه يبلغه صلاة من يصلي عليه من أمته وقال إن الأنبياء لا يبلون ولا تأكل الأرض منهم شيئاً، وقد مات موسى في زمانه وأخبر نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أنه رآه في قبره مصلياً وذكر في حديث المعراج أنه رآه في السماء الرابعة وأنه رأى آدم في السماء الدنيا وأنه رأى إبراهيم وقال له مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح وإذا صح لنا هذا الأصل قلنا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم قد صار حياً بعد وفاته وهو على نبوته، هذا آخر كلام الأستاذ نقله عنه الحافظ السيوطي رحمه الله.

Scanned by CamScanner

٨ـ قال ابن القيم في نونيته المشهورة:

والرسل أكمل حالة منه[٩] بلا شك وهذا ظاهر التبيان
فلذاك كانوا بالحياة أحق من شهدائنا بالعقل والبرهان
وبأن عقد نكاحه لم ينفسخ فنساؤه في عصمة وصيان
ولأجل هذا لم يحل لغيره منهن واحدة مدى الأزمان
أفليس في هذا دليل أنه حي لمن كانت له أذنان

٩ـ قال العلامة المحدث الفقيه ابن حجر الهيتمي في الدر المنضود صـ ١١٩: ١٢٠ وعلم من هذه الأحاديث أيضاً أنه صلى الله عليه وآله وسلم حي على الدوام إذ من المحال العادي أن يخلو الوجود كله عن واحد يسلم عليه صلى الله عليه وآله وسلم في ليل أو نهار فنحن نؤمن ونصدق بأنه صلى الله عليه وآله وسلم حي يرزق وأن جسده الشريف لا تأكله الأرض والإجماع على هذا.

١٠ـ قال الحافظ السخاوي في القول البديع ما نصه:

السادسة يؤخذ من هذه الأحاديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم حي على الدوام وذلك أنه محال عادة أن يخلو الوجود كله من واحد يسلم عليه في ليل ونهار ونحن نؤمن ونصدق بأنه صلى الله عليه وآله وسلم حي يرزق في قبره وأن جسده الشريف لا تأكله الأرض والإجماع على هذا ا.هـ.

---

(٩) يعني الشهيد.

Scanned by CamScanner

١١ - قال الحافظ القسطلاني في مسالك الحنفا صـ٢٥٠:

وفي هذا الحديث والذي قبله دلالة على أنه صلى الله عليه وآله وسلم حي على الدوام لأنه لا يخلو الوجود كله من واحد يسلم عليه صلى الله عليه وآله وسلم في ليل أونهار والإيمان بأنه حي يرزق وأن جسده الشريف لا تأكله الأرض قد وقع عليه الإجماع أ.هـ

وفي المواهب اللدنية للقسطلاني رحمه الله أيضاً ويجب الأدب معه صلى الله عليه وآله وسلم كما في حياته إذ هو حي في قبره يصلي تلذذاً لا تكليفاً بأذان وإقامة كما مر في الخصائص.

١٢- وسئل الإمام المحدث الشيخ خليل بن أحمد السهارنفوري الحنفي ما قولكم في حياة النبي عليه الصلاة والسلام في قبره الشريف هل ذلك أمر مخصوص به أم مثل سائر المؤمنين رحمة الله عليهم حياته برزخية.

الجواب: عندنا وعند مشايخنا حضرة الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم حي في قبره الشريف وحياته صلى الله عليه وسلم دنيوية من غير تكليف وهي مختصة به صلى الله عليه وآله وسلم وبجميع الأنبياء صلوات الله عليهم والشهداء لا برزخية كما هي حاصلة لسائر المؤمنين بل لجميع الناس كما نص عليه العلامة السيوطي في رسالته إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء حيث قال:قال الشيخ تقي الدين السبكي حياة الأنبياء والشهداء في القبر كحياتهم في الدنيا ويشهد له صلاة موسى عليه السلام في قبره فإن الصلاة تستدعي جسداً حياً إلى آخر ما قال فثبت بهذا أن حياته دنيوية وبرزخية لكونها في عالم البرزخ، ولشيخنا شمس الإسلام والدين محمد قاسم العلوم على المستفيدين قدس الله سره العزيز في هذا المبحث رسالة مستقلة دقيقة المأخذ بديعة المسلك لم يُر مثلها قد طبعت وشاعت في الناس واسمها آب حياة أي ماء الحياة.

Scanned by CamScanner

وقد وافقه على هذا الجواب:

١- قدوة العارفين وزبدة المحدثين شيخ الهند العلامة محمود حسن الديوبندي رحمه الله.
٢- العلامة الفقيه المتبحر مولانا مير أحمد حسن الأمروهي رحمه الله.
٣- العلامة المفتي عزيز الرحمن الديوبندي رحمه الله.
٤- حكيم الأمة مولانا أشرف علي التهانوي رحمه الله.
٥- شيخ الأتقياء مولانا العلامة عبدالرحيم الرائفوري رحمه الله.
٦- العلامة رئيس الحكماء مولانا الشيخ الحكيم محمد حسن الديوبندي رحمه الله.
٧- العلامة جامع الكمال مولانا الشيخ قدرة الله رحمه الله تعالى.
٨- العلامة الكبير مولانا حبيب الرحمن الديوبندي رحمه الله.
٩- العلامة قدوة الخلف مولانا محمد أحمد نجل العلامة محمد قاسم النانوتوي رحمه الله.
١٠- العلامة جامع المعقول والمنقول مولانا الشيخ غلام رسول رحمه الله
١١- العلامة مولانا محمد سهول رحمه الله.
١٢- العلامة مولانا محمد عبدالصمد البجنوري رحمه الله.
١٣- العلامة الحكيم محمد إسحاق النهتوري الدهلوي رحمه الله.
١٤- العلامة مولانا محمد رياض الدين رحمه الله.
١٥- العلامة المفتي كفاية الله الدهلوي رحمه الله.
١٦- العلامة مولانا محمد ضياء الحق.
١٧- العلامة مولانا محمد عاشق إلهي رحمه الله.
١٨- مولانا العلامة محمد سراج أحمد.
١٩- العلامة المقري مولانا محمد إسحاق الميرتهي.
٢٠- العلامة الحكيم محمد مصطفى البجنوري رحمه الله.

Scanned by CamScanner

٢١- مولانا العلامة محمد قاسم رحمه الله.
٢٢- العلامة مولانا محمد مسعود أحمد رحمه الله.
٢٣- مولانا العلامة محمد يحيىٰ السهسرامي رحمه الله.
٢٤- العلامة مولانا محمد كفاية الله رحمه الله.
٢٥- العلامة إمام وخطيب المسجد الحرام محمد سعيد بابصيل رحمه الله مفتي الشافعية بمكة ورئيس العلماء بها.
٢٦- العلامة أحمد رشيد الحنفي رحمه الله.
٢٧- مولانا الإمام محب الدين المهاجر المكي الحنفي.
٢٨- مولانا العلامة محمد صديق الأفغاني.
٢٩- مفتي المالكية بمكة العلامة محمد عابد بن حسين المالكي رحمه الله.
٣٠- العلامة المدرس بالمسجد الحرام محمد علي بن حسين المالكي.
٣١- العلامة الفقيه المحدث مفتي الشافعية بالمدينة المنورة أحمد بن إسماعيل بن زين العابدين المدني البرزنجي.

ووقع علىٰ تقريض البرزنجي مجموعة من العلماء هم:

١- رسوحي عمر.
٢- خليل بن إبراهيم مدرس بالحرم النبوي.
٣- محمد زكي البرزنجي خادم العلم بالحرم النبوي.
٤- أحمد بن المأمون البلفيش المدرس بالحرم النبوي.
٥- موسىٰ كاظم بن محمد المدرس بباب السلام في الحرم النبوي.
٦- ابن نعمان محمد منصور خادم العلم في بلدة النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم.
٧- عبدالله القادر بن محمد بن سوده مدرس بالحرم النبوي.
٨- ملا عبدالرحمن مدرس بالحرم النبوي.

Scanned by CamScanner

٩- أحمد بساطي مدرس بالحرم النبوي.
١٠- أحمد بن أحمد أسعد خادم العلم بالحرم النبوي.
١١- ملا محمد خان مدرس بالحرم النبوي.
١٢- السيد أحمد الجزائري شيخ المالكية بحرم خير البرية.
١٣- محمد السوسي الخباري خادم العلم بالمسجد النبوي.
١٤- محمد توفيق خادم العلم في دمشق الشام.
١٥- أحمد بن محمد خير العباسي خادم العلم بالمسجد النبوي.
١٦- معصوم أحمد سيد مدرس بالحرم النبوي.
١٧- ياسين عفي عنه الدمشقي.
١٨- محمود عبدالجواد خادم العلم بالحرم النبوي.
١٩- محمد حسن سندي خادم العلم بالحرم النبوي.
٢٠- محمد بن عمر الفلالي خادم العلم بالحرم النبوي.
٢١- عبدالله الفقير النابلسي الحنبلي خادم العلم بالحرم النبوي رحمهم الله تعالى.
٣٢- العلامة الشيخ أحمد بن محمد خير الشنقيطي المالكي المدني.
٣٣- شيخ الجامع الأزهر العلامة سليم البشري.
٣٤- مفتي دمشق الشام العلامة السيد محمد أبو الخير ابن عابدين الحنفي.
٣٥- مفتي الحنابلة بدمشق الإمام العلامة مصطفىٰ بن أحمد الشطي الحنبلي.
٣٦- العلامة المفتي محمود رشيد العطار رحمه الله.
٣٧- العلامة محمد البوشي الحموي رحمه الله.
٣٨- العلامة مفتي حماه محمد سعيد الحموي رحمه الله.
٣٩- العلامة الكبير علي بن محمد الدلال الحموي رحمه الله.

Scanned by CamScanner

٤٠- العلامة محمد أديب الحوراني رحمه الله.
٤١- العلامة عبدالقادر اللبّابيدي رحمه الله.
٤٢- العلامة محمد سعيد رحمه الله.
٤٣- العلامة محمد سعيد اللطفي الحنفي رحمه الله.
٤٤- العلامة فارس بن محمد الشقفه رحمه الله.
٤٥- العلامة مصطفىٰ الحداد رحمه الله. انظر المهند علىٰ المفند .

جاء في المنحة الوهبية للعلامة داود بن سليمان البغدادي النقشبندي الخالدي رحمه الله صـ ٦: ٧، قال الإمام البيهقي في كتاب (الإعتقاد) الأنبياء بعد ما قبضوا ردت إليهم أرواحهم فغيبوا عنا وإن كنَّا لا نراهم كالملائكة إلا لمن أكرمه الله تعالىٰ بنوع كرامة، وكذلك ذكر الإمام السيوطي وهو قول الإمام النووي والسبكي ونقله القرطبي عن شيخه – يعني صاحب المفهم – ونقله عنه ابن القيم الحنبلي في كتاب الروح وابن حجر والرملي، والقاضي زكريا، وأكمل الدين الحنفي، والشرنبلالي وابن أبي جمرة المالكي وتلميذه ابن الحاج في المدخل والشيخ إبراهيم اللقاني في شرح (جوهرة التوحيد)، وغيرهم وقد صح عن سعيد بن المسيب أنه في وقعة الحرة لما خُلي المسجد النبوي وتعطل عن الأذان والإمامة صار يسمع الأذان والإقامة من الحجرة الشريفة النبوية، وذكره ابن تيمية في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم) وإن كثيراً منهم سمع رد السلام من قبره صلىٰ الله عليه وآله وسلم علىٰ المسلمين في كثير من الأوقات بل ثبت هذا من سائر الموتىٰ كما سيأتي، والحاصل أن حياة الأنبياء ثابتة بالإجماع ولا يرد علىٰ هذا ما ورد في الحديث الصحيح (ما من أحدٍ يسلم عليَّ إلاَّ رد الله عليَّ روحي حتىٰ أرد عليه السلام) فإنه بظاهره يقتضي أن روحه الشريفة تفارق جسده الشريف وأنها بالسلام تُرد وأجاب عنه العلماء بأجوبة أو صلها السيوطي إلىٰ سبعة عشر وجهاً

Scanned by CamScanner

أحسنها (أنه صلىٰ الله عليه وآله وسلم يكون مستغرقاً بمشاهدة حضرة القدس فيفنىٰ عن إحساسه الشريف فإذا سلم المسلم عليه تردُ روحه من ذلك الاستغراق إلىٰ الإحساس لأجل الرد المذكور) ونحن نرىٰ في الدنيا بعض من هو مشغول البال بأمر من الأمور الدنيوية أو الأخروية وربما يتكلم أحد معه وهو لا يشعر بكلامه لاشتغال باله واستغراقه فكيف من هو مشغولٌ بمشاهدة جمال ذي الجلال ا.هـ.

أقول ومن الأجوبة القوية التي أجاب بها الحافظ السيوطي ما نص عليه بقوله الثاني وهو أقواها ولا يدركه إلا ذو باع في العربية أنَّ قوله (ردَّ الله) جملة حالية وقاعدة العربية أن جملة الحال إذا وقعت فعلاً ماضيا قُدرت فيها (قد) كقوله تعالىٰ ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: ٩٠] أي قد حصرت وكذا تقدر هنا والجملة ماضية سابقة علىٰ السلام الواقع من كل أحد وحتىٰ ليست للتعليل بل مجرد حرف عطف بمعنىٰ الواو فصار تقدير الحديث (ما من أحدٍ يسلمُ عليَّ إلاَّ قد ردَّ الله عليَّ روحي قبل ذلك فأرد عليه) وقد جاء الإشكال من ظن أن جملة (رد الله عليَّ) بمعنىٰ الحال أو الاستقبال وظن أن حتىٰ تعليلية، وليس كذلك وبهذا الذي قررنا ارتفع الإشكال من أصله وأيده من حيث المعنىٰ أنَّ الرد ولو أخذ بمعنىٰ الحال والاستقبال لزم تكرره عند تكرر المُسَلِّمين وتكرر الرد يستلزم تكرار المفارقة وتكرار المفارقة يلزم عليه محذوران أحدهما تأليم الجسد الشريف بتكرار خروج الروح منه، أو نوع ما من مخالفة التكريم إن لم يكن تأليم والآخر مخالفة سائر الناس الشهداء وغيرهم فإنه لم يثبت لأحدٍ منهم أن يتكرر له مفارقة الروح وعودها في البرزخ والنبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم أولىٰ بالاستمرار الذي هو أعلىٰ مرتبة ومحذور ثالث هو مخالفة القرآن فإنه دل علىٰ أنه ليس إلاّ موتتان

Scanned by CamScanner

وحياتان وهذا التكرار يستلزم موتات كثيرة وهو باطل) ومحذور رابع وهو مخالفة الأحاديث المتواترة السابقة وما خالف القرآن والمتواتر من السنة وجب تأويله وإن لم يقبل التأويل كان باطلاً فلهذا وجب حمل الحديث على ما ذكرناه، وقال السيوطي في آخر كتابه (إنباء الأذكياء) ما نصه (ثم بعد ذلك رأيت الحديث المسئول عنه مخرجاً في كتاب (حياة الأنبياء) للبيهقي بلفظ إلاَّ وقد ردَّ الله عليَّ روحي فصرح فيه بلفظ (وقد) فحمدت الله كثيراً، وقوي أن رواية إسقاطها محمولة على إضمارها وأن حذفها من تصرف الرواة وهو الأمر الذي جنحت إليه في الوجه الثاني من الأجوبة وقد عدت الآن إلى ترجيحه لوجود هذه الرواية فهو أقوى الأجوبة ومراد الحديث عليه الإخبار بأن الله يرد إليه روحه بعد الموت فيصير حياً على الدوام حتى لو سَلَّمَ عليه أحد ردَّ عليه سلامه لوجود الحياة فصار الحديث موافقاً للأحاديث الواردة في حياته في قبره وواحداً من جملتها لا منافياً لها البته بوجه من الوجوه ولله الحمد والمنه)، وقد قال بعض الحفاظ لو لم نكتب الحديث من ستين وجهاً ما عقلناه وذلك لأن الطرق يزيد بعضها على بعض تارة في ألفاظ المتن، وتارة في الإسناد فيستبين بالطريق المزيد ما خفي في الطريق الناقصة والله أعلم.

والحاصل أن الأدلة على حياة الأنبياء الكرام كثيرة يصعب حصرها في مثل هذا الجواب المختصر وقد أفردها بالتأليف جماعة من الحفاظ منهم:

١- الإمام البيهقي رحمه الله.
٢- البدر بن الصاحب رحمه الله.
٣- الحافظ جلال الدين السيوطي وسمّى كتابه إنباء الأذكياء.

Scanned by CamScanner

فتحصل من هذا كله أن الأنبياء في البرزخ أحياء حياة هي أكمل من حياتهم قبل الانتقال وهي كذلك أكمل من حياة باقي الخلق بعد الانتقال.

وأن حياة الأنبياء البرزخية معلومة من الدين بالضرورة يكفر منكرها والله أعلم.

إثبات حياة الشهداء في قبورهم:

هذه المسئلة قطعية لورود النص بها في القرآن قال تعالىٰ ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤] وقال تعالىٰ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٠] الشهيد فعيل بمعنىٰ الفاعل أو بمعنىٰ المفعول، أما بمعنىٰ الفاعل فعن النضر بن شميل أن الشهيد هو الحي لأن كل من كان حياً كان شاهداً و مشاهِداً للأحوال، والشهيد حي بعد أن صار مقتولاً وعلىٰ مقتضىٰ هذا القول كل من ورد في الشرع بأنه شهيد ثبت له هذا الوصف وهو كونه حياً وهذا المعنىٰ علىٰ كون أن الشهيد بمعنىٰ الفاعل فهو شهيد علىٰ الأمم الخالية يوم القيامة وأنه شاهد لطف الله ورحمته سبحانه، وأما علىٰ كون الشهيد بمعنىٰ المفعول فإن ملائكة الرحمة يحضرونه ويرفعون روحه إلىٰ منازل القدس وكل هذه المعاني موجودة في حق النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم وقد أجمع العلماء علىٰ حياة الشهداء وجاءت بذلك نصوص السنة فمن ذلك ما أخرج مسلم في صحيحه عن مسروق قال سألنا عبدالله بن مسعود عن هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا﴾ الآية فقال أما أنَّا قد سألنا عن ذلك رسول الله فقال (أرواحهم في جوف طير

Scanned by CamScanner

خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم إطلاعة فقال هل تشتهون شيئاً قالوا أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا)، والشهيد لا تأكل الأرض جسده والنصوص في هذا كثيرة روى الترمذي قصة أصحاب الأخدود وفيه أن الغلام الذي قتله الملك دفن قال فيذكر أنه أخرج في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل قال الترمذي حديث حسن، أقول وقصة أصحاب الأخدود مروية في صحيح مسلم وكانت في الفترة بين عيسى وسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال (إذا وقف العباد للحساب جاء قوم واضعوا سيوفهم على رقابهم تقطر دماً فازدحموا على باب الجنة فقيل من هؤلاء قيل الشهداء كانوا أحياء مرزوقين) رواه الطبراني قال الحافظ المنذري وإسناه حسن، وروى ابن المبارك عن قطن بن وهب عن عبيد بن عمير قال وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على مصعب بن عمير وهو منجعف – أي مصروع – على وجهه يوم أحد شهيداً و كان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣] إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشهد عليكم أنكم شهداء عند الله يوم القيامة، ثم أقبل على الناس فقال يا أيها الناس ائتوهم وزُوروهم وسلموا عليهم فو الذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلاَّ ردوا عليه السلام) وهذا مرسلٌ وأخرجه أبو نُعيم

Scanned by CamScanner

في الحلية عن ابن عمر قال مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمصعب بن عمير حين رجع فوقف عليه وعلى أصحابه وقال (أشهد أنكم أحياء عند الله فزوروهم وسلموا عليهم فو الذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أَحدٌ إلاَّ ردوا عليه إلى يوم القيامة) قال الحافظ العراقي في (طرح التثريب) في الكلام على حديث أبي هريرة كل ابن آدم يأكله التراب إلاَّ عُجب الذَّنَبْ ما نصه الرابعة كون ابن آدم يأكله التراب عامٌ مخصوصٌ فإنَّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا تبلى أجسامهم الكريمة وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنَّ الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء واستثنى ابن عبدالبر معهم الشهداء وحسبك ما جاء في شهداء أحد وغيرهم ا.هـ.

واعلم أنَّ حياة الشهداء مع قطعيتها هي في المرتبة دون حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وليس المقصود الاستقصاء لما ورد في الباب وإنما أردنا الإشارة فتركنا الإطالة ومن المعلوم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم شهيدٌ فإنه صلى الله عليه وآله وسلم لما سمُ بخيبر وأكل من الشاة المسمومة وكان ذلك سماً قاتلاً من ساعته مات فيه بشر بن البراء رضي الله عنه وبقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذلك معجزة في حقه صار ألم السم يتعاهده إلى أن مات به صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه الذي مات فيه وقال ما زالت أكلة خيبر تعاودني حتى انقطعت أبهري، وقال العلماء فجمع الله له بين النبوة والشهادة وتكون الحياة الثابتة للشهداء لا تختص بمن قتل في المعركة فإنما اشترطنا ذلك في الأحكام الدنيوية كالغسل والصلاة على خلاف بين العلماء أمَّا الآخرة فلا، وقد صرح ابن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم بأنه صلى الله عليه وآله وسلم مات شهيداً، وفي البخاري عن عائشة قالت (كان النبي صلى الله عليه

Scanned by CamScanner

وآله وسلم يقول في مرضه الذي توفي فيه لم أزل أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم)، قال الإمام البيهقي الأنبياء عليهم السلام بعد ما قبضوا رُدَّت إليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم كالشهداء ا.هـ أقول بل أرفع.

إثبات حياة الصديقين والأولياء والصالحين:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (إنّ أكثر شهداء أمتي لأصحاب الفُرُش ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته) أخرجه أحمد وهو مرسل رجاله ثقات، وإسناده حسن. الفُرُش بضمتين جمع فَرْش بفاء مفتوحة وراء ساكنه قال أهل العلم الذين يألفون النوم على الفرش يعني أن نومهم على الفرش لم يشغلهم عن جهاد النفس والشيطان وهذا من أعظم الجهاد فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم (المجاهد من جاهد نفسه في الله) أخرجه الترمذي وابن حبان عن فضالة بن عبيد وإسناده جيد، (ورب قتيل بين الصفين) أي قتال الكفار (الله أعلم بنيته) أهي لإعلاء كلمة الله وإظهار دينه أم ليقال شجاع أو لينال حظاً من الغنيمة، قال صلى الله عليه وآله وسلم (إن لله عباداً يَضِن بهم عن القتل ويطيل أعمارهم في حسن العمل ويحسن أرزاقهم ويحييهم في عافية ويقبض أرواحهم في عافية على الفرش فيعطيهم منازل الشهداء) أخرجه الطبراني عن ابن مسعود بإسناد حسن، يعني بمنازل الشهداء أن يجعلهم أحياء في قبورهم يرزقون ولهم خصوصيات أخر يمتازون بها على شهداء المعركة كونهم ضنائنه ضن بهم عن القتل وأطال أعمارهم وحسن أعمالهم وحسن أرزاقهم وأحياهم في عافية من فتن الدين والدنيا وقبض أرواحهم على فرشهم الناعمة وشهيد المعركة ربما لم يطل الله عمره في حسن العمل وإنما ختم له بالشهادة لتكون كفارة لما سبق منه، وقال صلى

Scanned by CamScanner

الله عليه وآله وسلم (إن لله ضنائن من خلقه يغذوهم في رحمته يحييهم في عافية وإذا توفاهم توفاهم إلى جنته أولئك الذين تمر عليهم الفتن كقطع الليل المظلم وهم منها في عافية) أخرجه الطبراني في الكبير، وأبو نُعيم في الحلية عن ابن عمر رضي الله عنهما وهو بمعنى الحديث الأول والحديث الحسن يبلغ مرتبة الصحيح إذا أُيِّد، ذكر هذا الحديث شيخ مشايخنا الغماري في (إتحاف النبلاء بفضل الشهادة وأنواع الشهداء) صـــ١١ وترجم له الأولياء يعطون أجور الشهداء، وقال بعد إيراده والأولياء جاهدوا أنفسهم في الله وخالفوا هواها حتى نالوا رضى الله وصاروا ضنائن له يحييهم في عافية وينجيهم من فتن الوقت وأغياره فإذا ماتوا على فرشهم قسم لهم أجور الشهداء لجهادهم في ذات الله وفنائهم فيه ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] رضي الله عنهم ونفعنا بمحبتهم ا.هـ، فطوبى لهم، ثم طوبى لهم، طوبى لهم الحياة الطيبة في الدنيا، وطوبى لهم الحياة البرزخية العطرة، وطوبى لهم منازل الشهداء والدرجات العلا في الجنة، وهذه بركة المجاهدة فمن جاهد نفسه في الله هداه الله إلى طريق القرب منه والوصول إليه، ومن دلائل حياتهم البرزخية المتميزة ما أخرجه الترمذي عن ابن عباس قال (ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا قبر إنسان يقرأ سورة ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [الملك:١] حتى ختمها فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله إني ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر) قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وفي الباب عن أبي هريرة، ثم ذكره بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه عن

Scanned by CamScanner

النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم قال (إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتىٰ غفر له وهي سورة ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ هذا حديث حسن ا.هـ.

أقول وأخرج حديث أبي هريرة رضي الله عنه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد، وهل يبقىٰ شكٌ في حياة امرئٍ يقرأ القرآن يعبد الله تعالىٰ بصوت مرتفع به لدرجة أن يسمعه من بينه وبينه حائل عظيم من أتربة وأحجار ويؤيد حصول القراءة من الميت في القبر ما رواه ابن منده وأبو أحمد الحاكم في الكنىٰ بسند ضعيف كما قال الحافظ السيوطي عن طلحة بن عبيدالله قال (أردت مالي بالغابة فأدركني الليل فأويت إلىٰ قبر عبدالله بن عمرو بن حرام فسمعت قراءة من القبر ما سمعت أحسن منها فجئت إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم فذكرت ذلك له فقال (ذلك عبدالله ألم تعلم أنّ الله قبض أرواحهم فجعلها في قناديل من زبرجد وياقوت ثم علقها وسط الجنة فإذا كان الليل ردت إليهم أرواحهم فلا تزال كذلك حتىٰ إذا طلع الفجر ردت أرواحهم إلىٰ مكانها الذي كانت فيه)، وروىٰ ابن جرير في (تهذيب الآثار)، وأبو نُعيم عن إبراهيم بن الصحة المهلبي قال (حدثني الذين كانوا يمرون بالحصن بالأسحار قالوا كنا إذا مررنا بجنبات قبر ثابت البناني سمعنا قراءة القرآن) وأخرج ابن منده قال أخبرنا أحمد بن محمد السلمي أنبأنا أبو أحمد يوسف الخفاف أنبأنا القاضي أبو أحمد حدثنا محمد بن جعفر بن محمد الأشعري سمعت سلمة ابن شيب قال سمعت أبا أحمد الحفار وكان ثقة ورِعاً قال (دخلت يوم الجمعة المقبرة نصف النهار فما مررت بقبر إلاَّ سمعت منه قراءة القرآن) قال الحافظ زين الدين بن رجب في كتاب

Scanned by CamScanner

القبور قد يكرم الله عز وجل بعض أهل البرزخ بأعمال صالحة في البرزخ وإن لم يحصل له بذلك ثواب لانقطاع عمله بالموت لكنه إنما يبقى عمله عليه ليتنعم بذكر الله وطاعته كما تنعم بذلك الملائكة وأهل الجنة في الجنة وإن لم يكن على ذلك ثواب لأن نفس الذكر والطاعة أعظم نعيماً عند أهلها من جميع النعم في الدنيا فما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله تعالى وطاعته، وروى أبو الحسن ابن البراء في كتاب (الروضة) عن عبدالله بن محمد بن منصور حدثني إبراهيم الحفار قال حفرت قبراً فبدت لبنة فشممت رائحة المسك حين انفتحت اللبنة فإذا الشيخ جالس في قبره يقرأ القرآن، قال ابن رجب وحدثني المحدث أبو الحجاج يوسف بن محمد السريري حدثنا شيخنا أبو الحسن علي بن الحسين السامري خطيب سامرا وكان رجلاً صالحاً أراني موضعاً من قبور سامرا فقال هذا الموضع لا نزال نسمع منه سورة تبارك (الملك)، وروى الحافظ أبو بكر الخطيب بسنده عن عيسى بن محمد الطوماري قال (أُريت أبا بكر بن مجاهد المقري في النوم كأنه يقرأ وكأني أقول له أنت ميت وتقرأ فكأنه يقول لي كنت أدعوا الله في دبر كل صلاة وعند ختم القرآن أن يجعلني ممن يقرأ فيه) وأخرجه ابن البراء في (الروضة) من طريق حفص بن عمر العدني وفيه ضعف أيضاً عن الحكم بن أربان، ورُؤي الحافظ أبو العلاء الهمذاني في النوم بعد موته وهو في مدينة جدرانها وحيطانها كلها كتب فسئل عن ذلك فقال سألت الله تعالى أن يشغلني بالعلم كما كنت أشتغل به فأنا أشتغل بالعلم في قبري ا.هـ كلام الحافظ ابن رجب ونقله الحافظ السيوطي في (شرح الصدور) عن أبي هريرة رضي الله عنه (أنَّ امرأة سوداء كانت تَـقُمُّ المسجد ففقدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسأل عنها بعد أيام فقيل له إنها ماتت فقال فهلا آذنتموني فأتى قبرها فصلى عليها) رواه البخاري ومسلم وابن ماجه بإسناد صحيح واللفظ له

Scanned by CamScanner

وابن خزيمة في صحيحه إلاَّ أنه قال (إن امراة كانت تلْقُط الخرق والعيدان من المسجد وروىٰ أبو الشيخ الأصبهاني عن عبيدالله بن مرزوق قال كانت امرأة بالمدينة تَـقُمُّ المسجد فماتت فلم يعلم بها النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم فمرَّ علىٰ قبرها فقال (ما هذا القبر فقالوا قبر أم محْجَن قال التي كانت تَقُمَّ المسجد قالوا نعم فصف الناس فصلىَّ عليها ثم قال أيُّ العمل وجدتِ أفضلُ قالوا يا رسول الله أتسمع، قال ما أنتم بأسمع منها فذكر أنها أجابته قمُّ المسجد) وهذا مرسل، وروىٰ البخاري مختصراً والطبراني مطولاً عن أنس قال لما انكشف الناس يوم اليمامة قلت لثابت بن قيس ألاَّ ترىٰ يا عم ووجدته يتحنط فقال ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم بئس ما عودتم أقرانكم اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء وما صنع هؤلاء ثم قاتل حتىٰ قتل وكان عليه درع نفيسة فمر به رجل مسلم فأخذها فبينما رجل من المسلمين نائم أتاه ثابت في منامه فقال إني أوصيك بوصية إياك أن تقول هذا حلم فتضيعه إني لما قتلت أخذ درعي فلان ومنزله في أقصىٰ الناس وعند خبائه فرس تستن – أي تذهب وتجيئ عدواً في نشاط ومرح ولا راكب عليها – وقد كفئ علىٰ الدرع برمة وفوقها رحل فأت خالداً فمره فليأخذه وليقل لأبي بكر إن عليَّ من الدين كذا وكذا وفلان عتيق فاستيقظ الرجل فأتىٰ خالداً فأخبره فبعث إلىٰ الدرع فأتي بها وحدث أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته)، هذا لفظ ابن حجر في الإصابة في ترجمة ثابت بن قيس، قال العلامة مصطفىٰ الحمامي في غوث العباد صـــ١٥: ١٦ بعد إيراد قصة ثابت بن قيس المذكورة ما نصه (فهذا رجل ميت يغضب علىٰ تركته أن يأخذها غير وارثه فيأمر من يذهب إلىٰ قائد الجيش يخبره بمكانها ليردها إلىٰ ورثته ولما سمع هذا القائد ذلك بعث إلىٰ الدرع فأتي بها ثم أمر هذا القائد أن يخبر خليفة رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم بما عليه من الدين ليؤدي

Scanned by CamScanner

عنه ليستريح من ناحيته وحتىٰ لا يندم ربُ الدين علىٰ ضياع ماله بموت المدين وأن يخبره بوصيته بعتق غلامه لينفذ هذه الوصية بما له من السلطة العامة وليكون هو قام بمكافأة ذلك الغلام علىٰ طول خدمته له في حياته فنفذ أبو بكر رضي الله عنه ذلك)، وانظر لما ذهب إلىٰ الرائي كيف شدد عليه أن يبلغ ما يوصيه به وأفهمه أن الأمر جد لا هزل وحق لا باطل ليقتلع من نفسه التردد الذي يقع في النفوس في بعض ما ترىٰ في المنام، وانظر كيف يصِفُ المكان الذي به الدرع علىٰ مبالغة آخذها في إخفائها، وانظر كيف فطِن هو وحده لذلك الآخذ مع أنه ميت ولم يفطن له الأحياء المحيطون به من كل مكان فمن بعد هذا ينكر أو يتردد أو تخطر له شبهة في أن الميت بعد موته يعمل ويقول، وهل عقيدةُ أن الميت لا يقول بعد موته ولا يفعل إلاَّ عقيدة من يئسوا من أصحاب القبور.

إثبات حياة سائر المؤمنين:

روىٰ أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم قال (ما من عبد يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلاَّ عرفه ورد عليه السلام) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد، واللفظ له، وابن عساكر وذكر نحوه الحافظ ابن كثير في تفسيره ج٣ صـ ٤٣٨ من حديث ابن عباس وعزاه لابن عبدالبر، ونقل تصحيحه عنه، وكذا الحافظ المناوي في فيض القدير من حديث ابن عباس أيضاً، وقال الحافظ المناوي معلقاً، وقال الحافظ العراقي المعرفة ورد السلام فرع الحياة ورد الروح ولا مانع من خلق هذا الإدراك برد الروح في بعض جسده وإن لم يكن ذلك في جميعه، وقال بعض الأعاظم تعلق النفس بالبدن تعلق يشبه العشق الشديد والحب اللازم فإذا فارقت النفس البدن فذلك العشق لا يزول إلاَّ بعد حين فتصير تلك النفس شديدة الميل لذلك البدن ولهذا

Scanned by CamScanner

ينهىٰ عن كسر عظمه ووطء قبره، انظر فيض القدير ج٥ صـــ٤٨٧

فالميت يشعر ويدرك بنوع من الإدراك من جاء لزيارته ويفرح به ولهذا أمر النبي ﷺ بالسلام علىٰ الموتىٰ حيث جاء أنه ﷺ كان يعلّم أصحابه ﷺ إذا زاروا القبور أن يقولوا السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنَّا إن شاء الله بكم للاحقون أخرجه أحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه وابن حبان

قال الإمام النووي رحمه الله في المجموع ويستحب للزائر أن يدنو من قبر المزور بقدر ما كان يدنو من صاحبه لو كان حيا وزاره ا.هـ

وقال ابن تيمية في الفتاوىٰ الكبرىٰ م١٢ ج٢٤

وأما علم الميت بالحي إذا زاره وسلم عليه ففي حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام).

قال ابن المبارك ثبت ذلك عن النبي ﷺ وصححه عبد الحق صاحب الأحكام.

وأما ما أخبر الله به من حياة الشهيد ورزقه وما جاء في الحديث الصحيح من دخول أرواحهم الجنة فذهب طوائف إلىٰ أن ذلك مختص بهم دون الصديقين وغيرهم.

والصحيح الذي عليه الأئمة وجماهير أهل السنة أن الحياة والرزق ودخول الأرواح الجنة ليس مختصاً بالشهيد كما دلت علىٰ ذلك النصوص الثابتة ويختص الشهيد بالذكر لكون الظان يظن أنه يموت فينكل عن الجهاد فأخبر بذلك ليزول المانع من الإقدام علىٰ الجهاد والشهادة.

كما نهىٰ عن قتل الأولاد خشية الإملاق لأنه هو الواقع وإن كان قتلهم لا يجوز مع عدم خشية الإملاق.

Scanned by CamScanner

قال ابن القيم رحمه الله وقد شرع النبي ﷺ لأمته إذا سلموا على أهل القبور أن يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه فيقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد والسلف مجمعون على هذا وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحي له ويستبشر به ا.هـ.

وبناء على هذا فالحق أن الميت يشعر ويستأنس ويفرح بمن يزوره ويرد عليه السلام فليس الموت إعداماً للوجود بل إن الميت موجود بروحه وتتعلق تلك الروح بالجسد تعلقاً ما، نسأل الله تعالى أن يرزقنا بر أصحاب الحقوق علينا ممن سبقونا إلى الدار الآخرة بزيارتهم والسلام عليهم آمين.

إثبات إدراك أهل القبور من غير المؤمنين:

من أوضح ما يدل على ذلك خطابه ﷺ لقتلى بدر روى البخاري في صحيحه عن أبي طلحة رضي الله عنه أن النبي ﷺ (قام على شفة الركية – البئر التي لم تطو – فجعل يناديهم بأسمائهم – يعني قتلى الكفار يوم بدر الذين ألقوا في تلك البئر – يا فلان بن فلان وفلان بن فلان أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قال فقال عمر ما تكلم من أجساد لا أرواح لها فقال رسول الله ﷺ (والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم) قال العلامة مصطفى الحمامي في غوث العباد صـ١٢ فها هو ذا رسول الله ﷺ يخبر مؤكدا بالقسم أن الأحياء الموجودين معه في الدنيا لا يزيدون عن أولئك القتلى الكفار في سماع كلامه ﷺ وإني أحب أن يهون القارئ على نفسه ولا يستغرب عند سماع هذا في حق الكفار فإنه يعلم حق العلم

Scanned by CamScanner

أن البدن ممن تموت أبدانهم بعد الانتقال من هذه الدار هو الذي يموت بانقطاع الصلة بينه وبين روحه الذي كان يدبره ويحركه أما الأرواح فباقية بعد الموت كما كانت في الدنيا قطعاً والأرواح في الحقيقة هي العاقلة المكلفة الفاهمة التي كانت تسمع في الدنيا الأسئلة التي توجه إلى الإنسان وترد عليها وهي هي عين الإنسان وهذا البدن آلتها التي تسخرها فيما تريد من أعمال وإذا كانت الأرواح التي هذا قدرها باقية بعد الموت كما كانت في الدنيا فأي غرابة في سماعها ما يوجه إليها من كلام بعد أن تموت أبدانها ولو كانت أرواح كفار ا.هـ.

إثبات سماع الموتى ورؤيتهم:

قد تقرر عندك بالبرهان القاطع حياة الأنبياء والشهداء وهذا كاف لإثبات سماعهم وكذا تقرر عندك حياة الصديقين والأولياء وهذا كاف لإثبات سماعهم إذ السماع من لوازم الحياة وأما غير هؤلاء فهذا الباب معقود لبيان سماعهم وإذا ثبت سماع الأموات ولو كفاراً تعلم ما باء به بعض الجهلة من نفي السماع والرؤية عن الأنبياء لا سيما نبينا ﷺ وعن الشهداء والأولياء إذا عرفت هذا فاعلم أن هذا المبحث مشتمل على فقرتين الأولى سماع الموتى الثانية رؤيتهم **أما سماع الموتى** فدلت عليه نصوص كثيرة منها على سبيل الإشارة لا الاستقصاء والإطالة:

١- روى البخاري ومسلم وأصحاب السنن من حديث ابن عمر قال اطلع رسول الله ﷺ على أهل القليب فقال (وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً) فقيل له أتدعو أمواتاً فقال (ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون) وفي الصحيحين من حديث أنس عن أبي طلحة أن رسول الله ﷺ (ناداهم يا أبا جهل بن هشام يا أمية بن خلف ياعتبة بن ربيعة أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقاً فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقا فقال له

Scanned by CamScanner

عمر يا رسول الله كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها قال والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم)

وفي صحيح مسلم من حديث أنس نحوه من غير ذكر أبي طلحة وفي حديثه قال (والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا)

وفيه أيضاً عن أنس عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ هذه القصة بمعناها.

فإن قلت السيدة عائشة رضي الله عنها أنكرت ذلك كما في الصحيحين عن عروة عن عائشة أنها قالت قال رسول الله ﷺ (إنهم ليسمعون الآن ما أقول وقد وهم – يعني ابن عمر – قال إنهم ليعلمون الآن ما كنت أقول لهم إنه حق ثم قرأت ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠] وقوله تعالى ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢].

فجوابه أن روايتها أنه ﷺ قال (إنهم ليعلمون الآن أن ما كنت أقول لهم حق) تؤيد رواية من روى إنهم ليسمعون ولا ينافيه فإن الميت إذا جاز أن يعلم جاز أن يسمع لأن الموت ينافي العلم كما ينافي السمع والبصر فلو كان مانعاً من البعض لكان مانعاً من الجميع قاله ابن رجب الحنبلي في أهوال القبور طبع دار الكتب العلمية صـ٧٧.

وقال ابن تيمية في كتاب الانتصار للإمام أحمد رضي الله عنه وإنكار عائشة سماع أهل القليب الكفار معذورة فيه لعدم بلوغها النص وغيرها لا يكون معذوراً مثلها لأن هذه المسئلة صارت معلومة من الدين بالضرورة انتهى.

Scanned by CamScanner

وقال السهيلي كما في عمدة القاري للعيني عائشة رضي الله عنها لم تحضر قول النبي ﷺ فغيرها ممن حضر أحفظ للفظ النبي ﷺ ا.هـ.

وفي مغازي ابن إسحاق رواية يونس ابن بكير بإسناد جيد وأخرجه أحمد بإسناد حسن عن عائشة رضي الله عنها مثل هذا الحديث وفيه (ما أنتم بأسمع لما أقول منهم) قال الحافظ القسطلاني وغيره فإن كان محفوظاً فلعلها رجعت عن الإنكار لما ثبت عندها من رواية الصحابة ﷺ لكونها لم تشهد القصة ا.هـ.

أما عن الآيتين قوله تعالى ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢] وقوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾ [النمل: ٨٠] فليس فيهما دلالة على نفي مطلق السماع عن الموتى وإنما يدل على نفي السماع الذي ينتفع به وذلك لأن المراد بمن في القبور في الآية الأولى وبالموتى في الآية الثانية إنما هم الكفار تشبيهاً لهم بمن في القبور من الموتى فكما أن الموتى لا يسمعون سماعاً نافعاً وهو السماع الذي يتم به التخاطب بين السامع والمسموع منه كذلك الكفار لا يسمعون ما يلقيه النبي ﷺ عليهم من الآيات في إنذارهم سماعا نافعا يهتدون به إلى الإيمان وإلا فمطلق السماع ثابت للكفار فإنهم يسمعون ما يقوله النبي لهم ولكنهم لا ينتفعون بما يسمعونه ويؤيد هذا قوله تعالى ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الانفال: ٢٣] فإن المراد بالسماع في قوله لأسمعهم هو السماع النافع وفي قوله ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ هو السماع غير النافع وإلا لفسد المعنى إذ تكون الآية حينئذ قياساً تكرر فيه الحد الأوسط فينتج برفعنا الحد الأوسط أنه لو علم الله فيهم خيراً لتولوا وهذا محال كما ترى إذ يلزم أن يقع منهم التولي الذي هو شر مع علم الله الخير فيهم فيكون علم الله جهلاً تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً.

Scanned by CamScanner

قال ابن رجب الحنبلي في أهوال القبور صـ٧٧ وأما قوله تعالىٰ ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ وقوله تعالىٰ ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ فإن السماع يطلق ويراد به إدراك الكلام وفهمه ويراد به أيضاً الانتفاع به والاستجابة له والمراد بهذه الآيات نفي الثاني دون الأول فإنها في سياق خطاب الكفار الذين لا يستجيبون للهدىٰ ولا للإيمان إذا دعوا إليه كما قال الله تعالىٰ ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩] (الآية في نفي السماع والإبصار عنهم لأن الشيء قد ينتفي لانتفاء فائدته وثمرته فإذا لم ينتفع المرء بما يسمعه ويبصره فكأنه لم يسمع ولم يبصر وسماع الموتىٰ هو بهذه المثابة وكذلك سماع الكفار لمن دعاهم إلىٰ الإيمان والهدىٰ ا.هـ.

أقول ونظيره ما حكاه الله تعالىٰ من قول الكفار يوم القيامة زيادة في توبيخهم لأنفسهم ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠] أي لو كنا نسمع سماع قبول أو نعقل عقل تفكر في الحق حتىٰ ننتفع به ما كنا في عداد أصحاب النار وهم الشياطين فالمراد سماع غير سماع الحاسة قطعاً وإلا فحواسهم كاملة بالمشاهدة والعيان وإلىٰ هذا أشار الجلال السيوطي رحمه الله بقوله سماع الموتىٰ كلام الخلق قاطبة جاءت به عندنا الآثار في الكتب وآية النفي معناها سماع هدىٰ لا يقبلون ولا يصغون للأدب والدليل علىٰ أن المنفي في الآيتين إنما هو سماع القبول أنه سبحانه وتعالىٰ بعد قوله ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ قال ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [النمل:٨١] فاثبت سبحانه وتعالىٰ للمؤمنين السماع الذي هو بمعنىٰ القبول فمن جعل السماع المنفي في الآيتين بمعنىٰ سماع الحاسة قلنا له قد أثبته الله تعالىٰ علىٰ قولك للمؤمنين

Scanned by CamScanner

وهو مطلوبنا فيكون ثبوت السماع للموتى بنص القرآن الشريف فكيف تجحد النص القرآني كما جحدت نص الحديث الذي ما بعد كتاب الله تعالى أصح منه ا.هـ.

أقول وعليه يكون إنكار السيدة عائشة رضي الله عنها على فرض تسليمه مقصور على نفي السماع عن الكفار فقط بدليل ما ثبت عنها رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال (ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد السلام عليه حتى يقوم) فهذا قد أثبت الاستئناس ورد السلام المستلزم للسماع وقوله حتى يقوم متعلق باستأنس كما هو ظاهر.

مع أنك قد علمت أنَّ رواية عائشة رضي الله عنها النافية للسماع مثبتة للعلم والعلم لا يمنع السماع ولا ينافيه كما حققه ابن تيمية وابن القيم وابن رجب والسيوطي وغيرهم لأن الموت لو كان عدماً محضاً كما يزعمه الجهال لانتفى عن الميت جميع الادراكات وهو خلف.

فإذا أثبتت عائشة رضي الله عنها العلم للأموات بهذا النص الصحيح تحقق أنها تثبت لهم الادراكات.

وقد ذكرت لك رواية أحمد بإسناد حسن عنها وفيه إثبات السماع أيضاً فلعلها رجعت عن الإنكار لما ثبت عندها من رواية الصحابة لكونها لم تشهد القصة.

فإن قلت لم لا يكون خطاب النبي ﷺ لأهل القليب وسماعهم له معجزة خاصة به ﷺ وفي صحيح البخاري قال قتادة أحياهم الله تعالى (يعني أهل القليب) حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وندامة.

Scanned by CamScanner

قلت يأبى هذا وينافيه حديث إنه ليسمع قرع نعالهم وغيره من الأدلة الدالة على أنَّ الأموات يسمعون كلام غير النبي ﷺ وقول قتادة في أهل القليب أحياهم الله حتى أسمعهم يدل على أن الميت لا يسمع القول إلا بعد إعادة الروح إلى جسده فمعنى الإحياء إعادة الروح إلى جسده والسلف على أنه لا يسأل في قبره إلا بعد إعادة الروح إلى جسده كما جاء ذلك مصرحاً به في حديث البراء بن عازب عن النبي ﷺ وفيه في حق الكافر والمؤمن في كل منهما وتعاد روحه في جسده أخرجه أحمد في مسنده وعند ابن ماجه من حديث أبي هريرة ﷺ وقال في روح الكافر فتصير إلى القبر فإن قلت لم لا يكون المقصود من تكليم النبي ﷺ للموتى هو وعظ الأحياء لا إفهام الموتى قلت لو كان المقصود ذلك لما سأله عمر ﷺ كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها متعجباً من تكليمه إياهم ولا أظن عاقلاً يدفعه السفه والجهل إلى اعتقاد أنه فهم بعد ألف ومئات من السنين مراد النبي ﷺ أكثر من صاحبه عمر ﷺ وأيضا ينافي كون المقصود بذلك هو الوعظ جواب النبي ﷺ لعمر بقوله ما أنتم بأسمع منهم فإن جوابه هذا لا يصلح أن يكون وعظاً بل هو صريح رد على استبعاد عمر وتعجبه من ذلك كما لا يخفى.

فإذا ثبت السماع في حق الكفار فكيف بالموتى المؤمنين ثم كيف بالأولياء والصالحين ثم كيف بالشهداء ثم كيف بالصديقين ثم كيف بالأنبياء والمرسلين ثم كيف بسيد الأولين والآخرين ﷺ.

ومن أدلة سماع الموتى ما ثبت في الصحيحين عن أنس عن النبي ﷺ قال (العبد إذا وضع في قبره وتولى وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم...) الحديث.

Scanned by CamScanner

قال ابن ملك وغيره أي يسمع صوت دقها وفيه دلالة على حياة الميت في القبر لأن الإحساس بدون الحياة ممتنع عادة قال واختلفوا في ذلك فقال بعضهم يكون بإعادة الروح وتوقف أبو حنيفة في ذلك ا.هـ.

قال العلامة ملا القاري ولعل توقف الإمام في أن الإعادة تتعلق بجزء البدن أو كله ا.هـ.

ومن أدلة سماع الموتى الروايات الصحيحة في السلام على أهل القبور فإن السلام على من لا يشعر بالمسلم يُعدُّ عبثاً فالسلام والخطاب والنداء في ذلك إنما هو لموجود يسمع ويخاطب ويعقل ويرد وإن لم يسمع الزائر الرد لعدم المجانسة في هذه الحالة إلا إذا انخرقت له العادة كرامة وروى العقيلي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال أبو رزين يا رسول الله إن طريقي على الموتى فهل من كلام أتكلم به إذا مررت عليهم قال (قل السلام عليكم يا أهل القبور.....) قال يا رسول الله أيسمعون قال (هم يسمعون).

ومن أدلة سماع الموتى ما قاله العلامة ابن ملك في شرح المصابيح عند الكلام على حديث السلام على أهل القبور ما نصه: ومما يُردُّ به على البعض القائلين بعدم سماع الموتى ما ورد في الحديث الذي أخرجه أحمد وأبو داود في سننه والحاكم في مستدركه وابن أبي شيبة في مصنفه والبيهقي في كتاب عذاب القبر والطيالسي وعبد بن حميد في مسنديهما وهناد بن السري في الزهد وابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهم من طرق صحيحة عن البراء بن عازب ﷺ في فتنة القبر والسؤال وفي آخر الحديث في المؤمن فينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي فافرشوا له من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فيها أي

Scanned by CamScanner

في تربته مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر بالذي يسرك فيقول له من أنت فوجهك الوجه الذي يأتي بالخير فيقول أنا عملك الصالح فيقول رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتىٰ أرجع إلىٰ أهلي ومالي وفي الكافر عكس ذلك وفيه ويعاد روحه في جسده فهذا الحديث يدل علىٰ أن الميت يسمع ويبصر ويشم ويتكلم ويعقل ويفهم ويخاطب ويراجع الخطاب وكل هذه أمور واقعة بعد السؤال وهي مما أجمع عليها العلماء خلافاً للمخاذيل الجهلاء والحديث المذكور متواتر كما قاله الحافظ السيوطي ومعنىٰ ويفسح له فيها مد بصره أي عند الله تعالىٰ وإن كان في رؤيتنا ليس الأمر كذلك لأن أحوال البرزخ مخالفة لحالة الدنيا ملحقة بالآخرة كما مر غير مرة وقد صرحوا بأنه يتعين البقاء مع الظواهر في جميع ما ورد من أحكام الآخرة إلا أن يدل دليل علىٰ امتناعه لأن حمل اللفظ علىٰ احتماله البعيد مجاز وشرطه القرينة المانعة من حمله علىٰ احتماله القريب الظاهر منه ومع عدمها لا يجوز حمل اللفظ عليه لما فيه من إثبات المشروط بدون شرطه فافهم ا.هـ. نقلا عن سعادة الدارين للعلامة إبراهيم سمنودي ج١ص٣٤٨:٣٤٩.

وقال العلامة المحقق مولانا المحدث عبدالحي اللكنوي رحمه الله في تذكرة الراشد: أن القول بنفي سماع الموتىٰ مردود عند الناقدين ومطرود عند الماهرين فقد وردت أخبار وآثار صحيحة كثيرة بسماع كل ميت وإدراكه ولو كان من الكفار والفجار وأما الاستدلال علىٰ نفي سماع الموتىٰ بنحو قوله تعالىٰ ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ وقوله ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾.

Scanned by CamScanner

فهو غير صحيح عند الإثبات لوجوه:

أحدها: أن المراد في الآيات هو الكافر المتصف بالموت القلبي لا الميت الحقيقي والعرفي كما في قوله تعالىٰ ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام:١٢٢] الآية ونظيره قوله تعالىٰ في شأن الكفار ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة:١٨] وقوله في حقهم ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٧١] الآية وقوله في وصفهم ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ [النمل:٨٠] وقوله في صفتهم ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف:١٧٩] إلىٰ غير ذلك من الآيات التي وصفهم الله تعالىٰ فيها بأوصاف الحيوانات والجمادات وأطلق عليهم ما يطلق علىٰ فاقد المشاعر والادراكات علىٰ سبيل التشبيه والاستعارات فهل يصح لأحد أن يقول أن المراد بالصم والعمي والبكم وغيرها معناها الحقيقي والعرفي كلا والله لا يقول به إلا جاهل بالمحاورات العربية عار عن فهم الاستعارات الأدبية ولو تتبعت القرآن لوجدت فيه مثل هذا أكثر كثير وبالجملة فهذه الآيات التي فيها نفي سماع الأموات واردة في حق الكفار الأحياء المشبهين بالأموات فهي نظائر قوله تعالىٰ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦] ويدل علىٰ ذلك سياق تلك الآيات وسياقها وكل من له أدنىٰ وقوف بأسرار القرآن لا يكاد يتوقف في بطلان أخذ المعنىٰ الحقيقي فيها المخالف لسياقها.

ثانيها: أن لو سلمنا أن المراد بالميت ومن في القبر هو معناه العرفي فلا يكون في تلك الآيات أثر لنفي السماع البشري بل نفىٰ فيها الإسماع النبوي فإنه خوطب النبي ﷺ فيها بأنك لا تسمعهم أي لا تقدر علىٰ إسماعهم فلا يلزم نفي سماعهم بإسماع ربهم ونظيره قوله تعالىٰ ﴿وَمَا

Scanned by CamScanner

رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧] وقوله ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ ويؤيده قوله تعالىٰ في تلك الآيات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر:٢٢].

ثالثها: لو سلمنا أن المقصود من هذه الآيات نفي سماع الأموات فكثيراً ما يحكم بعدم الشيء باعتبار عدم تحقق أثره بقوته ولا يلزم منه عدمه رأساً كما في قوله تعالىٰ ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ حيث نفىٰ الرمي عن النبي ﷺ مع ثبوته عنه لعدم ترتب أثره وهو وصول قبضة من تراب في أعين جمع من أعدائه بقوة نفسه بل بقدرة ربه فظهر بهذا كله أن زعم كون ظاهر تلك الآيات يدل علىٰ نفي سماع الموتىٰ باطل من أصله بل هي محمولة علىٰ الكفار بيقين ولا يقال أن الكفار لما شبهوا فيها بالأموات دل ذلك علىٰ عدم سماع الأموات فإن وجه الشبه لابد أن يتحقق في المشبه به بوجه أتم وليس هو هاهنا إلا نفي السماع لأنا نقول من المعلوم أن وجه الشبه لابد وأن يكون مشتركاً بين المشبه به والمشبه وعدم السماع ليس متحققاً هاهنا في المشبه فكيف يصح جعله وجه الشبه بل الصحيح أن وجه الشبه هاهنا هو عدم إجابة الحق ونفي السماع باختيار الحق ولا شبهة في كونه أتم في الميت الحقيقي من ميت القلب لكونه مرتحلاً من دار التكليف إلىٰ البرزخ ولا يلزم منه نفي سماعه بالكلية وعدم إحساسه وشعوره وإدراكه لكل جزئية وكلية فقد ورد أخبار كثيرة صحيحة مرفوعة بإثبات العقل والإدراك والسماع لكل ميت ولو كان من الطوائف القبيحة وشهدت بذلك آثار موقوفة علىٰ الصحابة ومن بعدهم من حملة الشريعة والموقوفة في هذه المسألة في حكم المرفوعة لما بين في كتب الحديث وليس ذلك خاصاً بوقت عود الروح إلىٰ الجسد في القبر عند السؤال بل هو حاصل للميت قبل وبعد كما صرحت به الأدلة التي

Scanned by CamScanner

خرجها الحفاظ الثقات التي تبلغ بمجموعها إلى حد التواتر المعنوي وإن لم يكن شيء منها متواتراً بعينه بالتواتر اللفظي فكيف مع هذا تنكر إدراكات الأموات وتشبه بالجمادات الخالية عن مطلق الإحساسات ومن أراد إزاحة شبهاته الركيكة فليرجع إلى كتب الأئمة سادات الأمة ومن لم يفتح بصره ولم يرفع كدره فليبك على نفسه إلى أن يدخل في رمسه فيسمع فيه خطابات الأحياء ويبدو له ما لم يكن يحتسب ويحصل له علم اليقين بسماع الميت والدفين فيتحسر على ما فات منه من الاعتقاد المتين عصمنا الله تعالى وجميع المسلمين من مثل هذه الحسرة وأزاح عنا بفضله الغفلة والفترة إنه كريم ا.هـ. بتلخيص واختصار سعادة الدارين للسمنودي.

مسألة مهمة:

استدل بعض المانعين لسماع الموتى بالحكم الشرعي الذي أطبق العلماء عليه من أن الرجل لو قال إن كلمت فلاناً فامرأتي طالق أو أمتي حرة وكلمه ميتاً لا يقع الطلاق ولا العتق وقالوا هذا يدل على عدم سماع الموتى ونسبوا هذا إلى أكثر مشايخ الحنفية واتكؤا على مقالة في هذا الباب لابن الهمام رحمه الله ذكرها في فتح القدير **والجواب:**

أن هذا الحكم الشرعي لا علاقة له بعدم سماع الموتى بل هو مخرج على القاعدة المقررة أن الأيمان مبنية على العرف كما قالوا فيمن حلف لا يأكل اللحم وأكل السمك لا يحنث مع أنه تعالى سماه لحماً طريا وهذا كذلك فإن من حلف لا يكلم زيداً مثلاً فكلمه ميتاً لا يحنث لأن التكلم المراد منه المتعارف الذي يكون فيه محاورة بأخذ الكلام ورده ولما كان الميت يسمع ولا يرد رداً متعارفاً بل رداً نؤمن به ولا نسمعه غالباً لم يحصل حقيقة التكلم العرفي فلهذا قالوا لا يحنث لا لأن الميت لا يسمع

Scanned by CamScanner

وهذا ما حرره أئمتنا الحنفية فالحنفية مطبقون على سنية السلام على أهل القبور في كل وقت والسلام عليهم كهو على الأحياء وهذا دليل السماع قال في الفتاوى الهندية ولا بأس بزيارة القبور وهو قول أبي حنيفة وظاهر قول محمد يقتضي الجواز للنساء أيضاً وفي التهذيب يستحب زيارة القبور وكيفية الزيارة كزيارة ذلك الميت في حياته من القرب والبعد كذا في خزانة المفتين.

وإذا أراد زيارة القبور يخلع نعليه ثم يقف مستقبلاً لوجه الميت مستدبراً للقبلة ويقول السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم أنتم لنا سلف ونحن بالأثر كذا في الغرايب ولا بأس أن يقرأ على المقابر سورة الملك سواء أخفى أو جهر وأما غيرها فإنه يقرأ في المقابر ولم يفرق بين الجهر والخفية كذا في الذخيرة في فضل قراءة القرآن عند القبور إن نوى أن يؤنسه صوت القرآن فإنه يقرأ وإن لم يقصد ذلك فإن الله يسمعه قراءة القرآن حيث كانت كذا في فتاوى قاضي خان المتوفى سنة ٥٩٢هـ انتهى وفي البزازية قطع الحشيش الرطب من المقابر يكره لأنه يسبح ويندفع به العذاب عن الميت ويستأنس به الميت انتهى وكذا في إمداد الفتاح للشرنبلالي وكذا في حاشية ابن عابدين رد المحتار وسائر كتب الحنفية فإذا ثبت أن الميت يسمع تسبيح نحو الحشيش الذي لا يدرك للأحياء بنص الأئمة الذين هم عمدة أهل الفتوى فكيف ينفى السماع عن صوت المنادي له فالفرع المذكور أعلاه مخرج على أنَّ الأيمان مبنية على المتعارف فذهب الإشكال ولم يلزم التناقض وما قاله ابن الهمام في هذه المسألة مع علو رتبته وارتفاع قدره معدود عند الفحول من سبق الأفهام ولا يضيره ذلك فهو مغتفر في بحر حسناته وجليل تحقيقاته وقد ذكر ابن الهمام نفسه في فتح القدير في فضل زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

Scanned by CamScanner

أنهم قالوا في زيارة القبور الأولى أن يأتي الزائر من قبل رجلي المتوفى لا من قبل بصره فإنه أتعب لعين الميت بخلاف الأول لأنه يكون مقابل بصره لأنّ بصره ناظر إلى جهة قدميه إذا كان على جنبه.انتهى. فقد أثبت رحمه الله للميت اطلاعاً بحاسة بصره وهي أضعف من حاسة السمع لافتقار البصر إلى الضوء وأفاد بأن اطباق الثرى لا تحول بين بصره وبين الناظر فبالأولى أن لا تمتنع حاسة السمع عن إنفاذه ا.هـ. وقد حرر العلامة ملا على القاري في شرح المشكاة مذهب الحنفية في هذه المسألة بأحسن بيان فجزاه الله خيرا وقد أطبق أئمتنا الحنفية على سنية زيارة النبي ﷺ وزيارة صاحبيه رضي الله عنهما والسلام عليهم وطلب الشفاعة منهم وممن نص على ذلك المحقق ابن الهمام نفسه في فتح القدير ج٣صـ١٨١ ومن كلامه قوله في مبحث الزيارة ثم يسأل – يعني الزائر – النبي ﷺ الشفاعة فيقول يا رسول الله أسألك الشفاعة يا رسول الله أسألك الشفاعة وأتوسل بك إلى الله في أن أموت مسلماً على ملتك وسنتك فلو كان أئمتنا الحنفية قائلين بعدم سماع مثل النبي والصاحبين لكان كلامهم متناقضاً بل بقولهم بسنية زيارة القبور مطلقاً والسلام عليهم كهو على الأحياء يحصل التناقض لكن لا تناقض فباب الأيمان مبني على التعارف فارتفع الإشكال وزال التناقض واستقام الكلام وحصل الإيمان بما جاء عن رسول الله ﷺ في الأخبار الصحيحة الثابتة في إثبات السماع للموتى وحصل الإجماع والحمد لله رب العالمين.

Scanned by CamScanner

وهاك هذه الفائدة النفيسة:

نص أبو حنيفة ﷺ على سنية استقبال القبر المكرم عند السلام والدعاء وجعل الظهر للقبلة قال محقق الحنفية ابن الهمام استقبال القبر الشريف أفضل من استقبال القبلة وما نقل عن الإمام أبي حنيفة ﷺ من أن استقبال القبلة أفضل فهو نقل مردود غير صحيح فقد روى الإمام أبو حنيفة نفسه في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال من السنة استقبال القبر المكرم وجعل الظهر للقبلة قال ابن الهمام وهذا هو الصحيح من مذهب أبي حنيفة ا.هـ.

ويؤيده ما قاله المجد اللغوي صاحب القاموس ونصه روينا عن الإمام ابن المبارك قال سمعت أبا حنيفة يقول قدم أبو أيوب السختياني وأنا بالمدينة فقلت لأنظرن ما يصنع فجعل ظهره مما يلي القبلة ووجهه مما يلي وجه رسول الله ﷺ وبكى غير متباك فقال أبو حنيفة قام مقام فقيه.

وهذا كله تنصيص على حياة النبي ﷺ في قبره يعلم بزائره ويسمع سلامه ويرد عليه.

ونص الشافعية والمالكية على استحباب استقبال القبر الشريف وكتبهم طافحة بذلك وهو الراجح عند المحققين من الحنابلة والنصوص في ذلك كثيرة ليس هذا محل بسطها.

وقد أفتى بهذا الإمام مالك المنصور وذلك أنه لما حج المنصور وزار قبر النبي ﷺ سأل مالكاً ﷺ وهو بالمسجد النبوي فقال للإمام مالك يا أبا عبدالله أستقبل القبلة وأدعوا أم استقبل رسول الله ﷺ وأدعوا فقال له الإمام مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى

Scanned by CamScanner

الله تعالىٰ بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله فيك قال الله تعالىٰ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ ذكره القاضي عياض في الشفا وساقه بإسناد صحيح وذكره الإمام السبكي في شفاء السقام والسيد السمهودي في خلاصة الوفاء والعلامة القسطلاني في المواهب اللدنية قال العلامة ابن حجر الهيتمي في الجوهر المنظم رواية ذلك عن مالك جاءت بالسند الصحيح الذي لا مطعن فيه وقال العلامة الزرقاني في شرح المواهب رواها بن فهد بإسناد جيد ورواها القاضي عياض في الشفا بإسناد صحيح رجاله ثقات ليس في إسنادها وضاع ولا كذاب.

ورفعت فتوىٰ لمفتي الحنابلة بمكة الشيخ محمد بن عبدالله بن حميد في هذه المسألة فأجاب بأن الراجح عند الحنابلة استقبال القبر الشريف عند الدعاء واستحباب التوسل قال مذكور في كثير من كتب المذهب المعتمدة منها شرح مناسك المقنع للإمام شمس الدين ابن مفلح صاحب الفروع ومنها شرح الإقناع لمحرر المذهب الشيخ منصور البهوتي ومنها شرح غاية المنتهىٰ ومنها منسك الشيخ سليمان بن علي جد الشيخ عبدالوهاب صاحب الدعوة وكثير من المؤلفين في المذاهب ذكروا ذلك قاله العلامة أحمد زيني دحلان في رسالته في جواز التوسل ا.هـ.

أما الفقرة الثانية وهي رؤيتهم للأحياء:

النصوص الدالة علىٰ أن الميت يرىٰ كثيرة منها ما ثبت في صحيح البخاري ومسلم من أنه (ما من ميت إلا يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار) والعرض المذكور يقتضي الرؤية لمقامه لأن الغرض منه زيادة

Scanned by CamScanner

تنعم السعيد وتعذيب الشقي قال تعالى في حق آل فرعون ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] فلو لم ير الميت المعروض عليه لم تحصل فائدة من العرض عليه.

وأخرج أبو نعيم عن عمرو بن دينار ما من ميت يموت إلا روحه في يد ملك تنظر إلى جسده كيف يغسل وكيف يكفن وكيف يمشى به ويقال له وهو على سريره اسمع ثناء الناس عليك.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عمرو المذكور ما من ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون في أهله بعده وإنهم ليغسلونه ويكفنونه وإنه لينظر إليهم.

وأخرج أحمد والطبراني وابن أبي الدنيا والمروزي وابن منده عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال (إن الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يكفنه ومن يدليه في حفرته).

وأخرج ابن أبي الدنيا عن مجاهد قال (إذا مات الميت فما من شيء إلا وهو يراه عند غسله وحمله حتى يوصله إلى قبره).

وفي صحيح البخاري (أن منكراً ونكيراً يقولان للميت بعد المساءلة انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به من الجنة فيراهما جميعا).

وأخرج أحمد والحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت (كنت أدخل البيت فأضع ثوبي وأقول إنما هو أبي وزوجي فلما دفن معهما عمر بن الخطاب ما دخلته إلا وأنا مشدودة عليَّ ثيابي حياءً من عمر والمقصود أن عمر رضي الله عنه يراها وهي أجنبية عنه) وهذا لا تقوله عائشة رضي الله عنها من عند نفسها إذ ليس للرأي فيه مجال فلا بد أنها سمعته من النبي ﷺ.

Scanned by CamScanner

وفي الأربعين الطائية روىٰ عن النبي ﷺ قال آنس ما يكون الميت في قبره – أي أشد أنسه حينئذ – إذا زاره من كان يحبه في دار الدنيا فهذا يدل علىٰ رؤية الميت لمن يزوره وإلا كيف يستأنس الميت بمن لم يره.

قال العلامة إبراهيم السمنودي وقد تواترت الأخبار بأن الميت يعلم بزيارة الحي له ويستبشر فروىٰ ابن أبي الدنيا في كتاب القبور بسنده عن عائشة رضي الله تعالىٰ عنها أنها قالت قال رسول الله ﷺ ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتىٰ يقوم قوله حتىٰ يقوم غاية لقوله استأنس لا لقوله رد كما لا يخفىٰ.

وروىٰ بسنده أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (إذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه وإذا مر بقبر الرجل لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام) ورواه البيهقي أيضاً في الشعب عن أبي هريرة مرفوعا وكذا الصابوني في المائتين وذكره ابن القيم وابن عبدالبر في الاستذكار والتمهيد عن ابن عباس وصححه الحافظ عبدالحق الاشبيلي في كتاب العاقبة وأورده ابن تيمية نفسه في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم بمخالفة أصحاب الجحيم بلفظ ما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا فسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتىٰ يرد عليه السلام قال وهو صحيح الإسناد وذكره تلميذ ابن تيمية – يعني ابن القيم – في كتاب الروح له وذكر بعده آثاراً كثيرة ثم قال ويكفي في هذا تسمية المسلم عليهم زائرا ولولا أنهم يشعرون به لما صح تسميته زائراً فإن المزور إذا لم يعلم بزيارة من زاره لم يصح أن يقال زاره هذا هو المعقول من الزيارة عند جميع الأمم وكذلك السلام عليهم فإن السلام علىٰ من لا يشعر بالمسلم يعد عبثاً فالسلام والخطاب والنداء في ذلك إنما هو لموجود يسمع ويخاطب ويعقل ويرد وإن لم يسمع الزائر الرد ا.هـ.

Scanned by CamScanner

أي لعدم المجانسة في هذه الحالة إلا إذا انخرقت له العادة كرامة ا.هـ. ج١صـ٣٤٠.

أقول قال ابن القيم في الروح ص١٣ وإذا صلى الرجل قريباً منهم شاهدوه وعلموا صلاته وغبطوه على ذلك.

قال يزيد بن هارون أخبرنا سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي أن ابن منيا خرج في جنازة في يوم وعليه ثياب خفاف فانتهى إلى قبر قال فصليت ركعتين ثم اتكأت عليه فو الله إن قلبي ليقظان إذ سمعت صوتاً من القبر إليك عني لا تؤذيني فإنكم قوم تعملون ولا تعلمون ونحن قوم نعلم ولا نعمل ولأن يكون لي مثل ركعتيك أحب إليَّ من كذا وكذا فهذا قد علم باتكاء الرجل على القبر وبصلاته.

وقال ابن القيم أيضاً في كتاب الروح صـ١٨ وصح عن عمرو بن دينار أنه قال ما من ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون في أهله بعده وإنهم ليغسلونه ويكفنونه وإنه لينظر إليهم.

وصح عن مجاهد أنه قال إن الرجل ليبشر في قبره بصلاح ولده من بعده.

وذكر ابن القيم أيضاً في الروح صـ١٢ أن سليم بن عامر مر على مقبرة وهو حاقن قد غلبه البول فقال له بعض أصحابه لو نزلت إلى هذه المقابر فبلت في بعض حفرها فبكى ثم قال سبحان الله والله إني لأستحي من الأموات كما استحي من الأحياء ولولا أن الميت يشعر بذلك لما استحيا منه ا.هـ.

Scanned by CamScanner

أقول سليم بن عامر حدث عن بعض الصحابة وعُمِّرَ دهراً توفي بعد سنة ١١٢ هـ انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء.

إثبات كلام الموتى ودعائهم:

روى البخاري في صحيحه وابن منده في كتاب الأهوال عن أبي سعيد الخدري ﷺ يقول (إذا وضعت الجنازة) وعند أبي داود الطيالسي (إذا وضع الميت على سريره فاحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت قدموني وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها يا ويلها أين يذهبون بها يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمع الإنسان لصعق) أي لغشي عليه أو يموت من شدة هول ذلك وكونه غير مألوف فهذا يدل على أن الميت يتكلم حقيقة بلسان المقال بحروف وأصوات يخلقها الله تعالى فيه وأسند الفعل إلى الجنازة وأراد الميت.

وأخرج ابن أبي الدنيا في القبور عن عمر بن الخطاب ﷺ قال قال رسول الله ﷺ (ما من ميت يوضع على سريره فيخطئ به ثلاث خطوات إلا تكلم بكلام يسمعه من شاء الله إلا الثقلين الإنس والجن يقول يا أخوتاه ويا حملة نعشاه لا تغرنكم الدنيا كما غرتني ولا يلعبن بكم الزمان كما لعب بي خلفت ما تركت لورثتي والديان يوم القيامة يخاصمني ويحاسبني وأنتم تشيعوني وتدعوني).

وأخرج أحمد في الزهد عن أم الدرداء قالت (إن الميت إذا وضع على سريره فإنه ينادي يا أهلاه يا جيراناه يا حملة سريراه لا تغرنكم الدنيا كما غرتني ولا تلعبن بكم كما تلاعبت بي فإن أهلي لم يتحملوا عني من وزري شيئا).

Scanned by CamScanner

وفي تاريخ ابن النجار عن أبي محمد بن النجار وكان من أصحاب المروزي وكان الخلال يقدمه لفضله قال (غسلت ميتا فأنا أغسله إذ فتح عينيه ثم قبض على يدي) وقال يا أبا محمد أحسن الاستعداد لهذا المصرع.

أما دعاء الميت:

فقد قال الله تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦] فليست إجابة الدعاء مقصورة على من هم في دار الدنيا خارج البرزخ بل هي عامة.

روى الإمام الطحاوي في مشكل الآثار باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله ﷺ (بالذي أمر بجلده في قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل ويدعو حتى رد إلى جلدة واحدة).

حدثنا فهد بن سليمان قال حدثنا عمرو بن عون الواسطي قال حدثنا جعفر بن سليمان عن عاصم عن شقيق عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال (أمر بعبد من عباد الله أن يضرب في قبره مئة جلدة فلم يزل يسأل ويدعو حتى صارت جلدة واحدة فجلد جلدة واحدة فامتلأ قبره عليه ناراً فلما ارتفع عنه قال علام جلدتموني قالوا إنك صليت بغير طهور ومررت على مظلوم فلم تنصره).

فكان في ذلك ما قد دل على أن تارك الصلاة لم يكن صلاها حتى خرج وقتها.

وفي إجابة الله عز وجل دعاءه ما قد دل أنه لم يكن بذلك كافراً لأنه لو كان كافراً كان دعاؤه داخلاً في قول الله عز وجل ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٥٠] غافر والله نسأله التوفيق.

Scanned by CamScanner

قال الشيخ شعيب الارناؤوط على الحديث المذكور إسناده حسن رجاله ثقات رجال الصحيح غير عاصم وهو ابن أبي النجود فقد روى له أصحاب السنن وحديثه في الصحيحين مقرون وهو صدوق وشقيق هو ابن سلمة الأسدي أبو وائل الكوفي.

ولم نجد هذا الحديث عند غير المصنف وله شاهد من حديث ابن عمر عند الطبراني في الكبير من طريق يحيى بن عبدالله البابلتي وهو ضعيف عن أيوب ابن نهيك وهو ضعيف أيضاً عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر رفعه بلفظ أدخل رجل في قبره فأتاه ملكان فقالا له إنا ضاربوك ضربة فقال لهما علام تضرباني؟ فضرباه ضربة امتلأ قبره منها ناراً فتركاه حتى أفاق وذهب عنه الرعب فقال لهما علام ضربتماني فقالا إنك صليت صلاة وأنت على غير طهور ومررت برجل مظلوم ولم تنصره.

قوله حتى خرج وقتها يريد أنه صلى تلك الصلاة بغير طهور حتى خرج وقتها ولم يعد.

قوله تعالى ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [غافر: ٥٠] قال ابن جرير يقول قد دعوا وما دعاؤهم إلا في ضلال لأنه دعاء لا ينفعهم ولا يستجاب لهم بل يقال لهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون.

وقال ابن كثير ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ إلا في ذهاب لا يقبل ولا يستجاب ا.هـ.

أقول وفي الحديث استجابة الله دعاء الأموات في حق أنفسهم كما يستجيب الله تعالى دعواتهم في حق غيرهم كما يأتي دليله في مبحث انتفاع الأحياء بأهل البرزخ.

Scanned by CamScanner

إثبات تزاور الأموات وتأذيهم مما يتأذى منه الأحياء

اشتمل هذا المبحث على فقرتين **الأولى** تزاور الأموات **والثانية** تأذي الأموات مما يتأذى منه الأحياء.

أما الفقرة الأولى: فقد أخرج الحارث بن أبي أسامة البغدادي المتوفى سنة ٢٨٢هـ وعبيدالله الوائلي المتوفى سنة ٤٤٠هـ في الإبانة عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ (أحسنوا أكفان موتاكم فإنهم يتباهون ويتزاورون في قبورهم).

وفي صحيح مسلم (إذ ولي أحدكم أخاه فليحسن كفنه) يعني لعلة التزاور والتباهي وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (أحسنوا أكفان موتاكم فإنهم يتزاورون في أكفانهم) وأخرج الترمذي وابن ماجه ومحمد بن يحيى الهمداني في صحيحه وابن أبي الدنيا والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي قتادة قال قال رسول الله ﷺ (إذا ولي أحدكم أخاه فليحسن كفنه فإنهم يتزاورون في قبورهم).

وأخرج أحمد وابن ماجه بإسناد جيد عن محمد بن المنكدر قال دخلت على جابر بن عبدالله رضي الله عنهما وهو يموت فقلت أقرئ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مني السلام.

وقد نص فقهاء الحنفية أنه يسن تحسين الكفن لأن الموتى يتفاخرون به ويتزاورون بل قال به جميع فقهاء المذاهب وفي هذا الباب آثار كثيرة وأخبار عجيبة غزيرة إن أردتها فارجع إلى شرح الصدور للحافظ جلال الدين السيوطي فإنه جمع فأوعى.

Scanned by CamScanner

فائدة في الدفن في الأرض المباركة ومجاورة الصالحين:

في الصحيحين من حديث أبي هريرة سؤال موسىٰ ربه أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر وفي لفظ لمسلم ربِّ امتني من الأرض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله صلىٰ الله عيه وسلم والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلىٰ جانب الطريق عند الكثيب الأحمر.

وهذا عمر رضي الله عنه استأذن عائشة أن يدفن بجوار صاحبيه وخبره في صحيح البخاري.

أما الفقرة الثانية: وهي تأذي الأموات مما يتأذىٰ منه الأحياء فقد أخرج الديلمي عن عائشة رضي الله عنها أنَّ النبي ﷺ قال (إن الميت يؤذيه في قبره ما يؤذيه في بيته) وروىٰ ابن أبي شيبة عن أبي سعيد قال كنت أمشي مع عبدالله في الجبانة فقال لأن أطأ علىٰ جمرة تطفأ أحب إليَّ من أطأ علىٰ قبر.

وأخرج أيضاً عن سالم أبي عبدالله البراد قال سمعت ابن مسعود يقول لأن أطأ علىٰ جمرة أحب إليَّ من أن أطأ علىٰ قبر رجل مسلم.

وأخرج أيضاً عن عقبة بن عامر قال لأن أطأ علىٰ جمرة أو علىٰ حد سيف حتىٰ تختطف رجلي أحب إليَّ من أن أمشي علىٰ قبر رجل مسلم وما أبالي في القبور قضيت حاجتي أم في السوق بين ظهرانيه والناس ينظرون أقول وهو موقوف صحيح وأخرجه ابن ماجه مرفوعاً قال البوصيري وإسناده صحيح.

Scanned by CamScanner

وأخرج ابن أبي شيبة أيضاً عن أبي هريرة ﷺ موقوفاً قال (لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه ثم قميصه ثم إزاره حتى تخلص إلى جلده أحب إليَّ من أن يجلس على قبر) وقد رواه مرفوعاً عن أبي هريرة أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه ولفظه خير له مكان أحب إليَّ.

وأخرج ابن أبي شيبة عن مجاهد قال لا يحدث وسط مقبرة ولا يبول فيها.

واسمع إلى هذه الرواية التي أخرجها الحاكم والبيهقي في الدلائل عن سلمان قال دخلت على أم سلمة رضي الله عنها وهي تبكي فقلت ما يبكيك قالت (رأيت رسول الله ﷺ في المنام يبكي على رأسه ولحيته التراب فقالت مالك يا رسول الله قال شهدت قتل الحسين آنفا).

Scanned by CamScanner

إثبات ما ورد من تصرف الموتى
وصدور أمور منهم بقدرة الله عز وجل

قال في المنحة الوهبية قال الحافظ السيوطي في كتابه شرح الصدور قال الحافظ ابن حجر في فتاواه أرواح المؤمنين في عليين وأرواح الكفار في سجين ولكل روح بجسدها اتصال معنوي لا يشبه الاتصال في حياة الدنيا بل أشبه شيء به حال النائم وإن كان هو أشد حالاً من حال النائم اتصالا قال وبهذا يجمع بين ما ورد أن مقرها في عليين وسجين وبين ما نقله ابن عبدالبر أنها عند أفنية قبورها قال ومع ذلك فهي مأذون لها في التصرف وتأوي إلى محلها من عليين أو سجين قال وإذا نقل الميت من قبر إلى قبر فالاتصال المذكور مستمر وكذا لو تفرقت الأجزاء انتهى قال السيوطي قلت ويؤيد ما ذكره من الإذن بالتصرف مع كون المقر في عليين ما أخرجه ابن عساكر من طريق ابن إسحاق قال حدثني الحسين ابن عبدالله عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال بعد قتل جعفر (لقد مر بي الليلة جعفر يقتفي نفراً من الملائكة له جناحان متخضبة قوادمهما بالدم يريدون بيشة بلداً باليمن) وأخرج ابن عدي[١٠] من حديث علي بن أبي طالب أن رسول الله ﷺ قال (عرفت جعفر في رفقة من الملائكة يبشرون أهل بيشة بالمطر) وأخرج الحاكم عن ابن عباس قال بينما النبي ﷺ جالساً وأسماء بنت عميس قريباً منه إذ رد السلام وقال (يا أسماء هذا جعفر مع جبرئيل وميكائيل مروا فسلموا علينا وأخبرني أنه لقي المشركين يوم كذا ويوم كذا قال فاصبت في جسدي من مقادمي ثلاثاً وسبعين من طعنة وضربة ثم أخذت اللواء بيدي اليمنى فقطعت ثم

---

(١٠) عبدالله بن عدي توفي سنة ٣٢٣هـ ٩٣٥م في استر آباد.

Scanned by CamScanner

أخذته بيدي اليسرىٰ فقطعت فعوضني الله من يدي جناحين أطير بهما مع جبرئيل وميكائيل أنزل من الجنة حيث شئت وآكل من ثمارها ما شئت) قالت أسماء هنيئاً لجعفر ما رزقه الله من الخير لكني أخاف أن لا يصدقني الناس فاصعد المنبر فأخبر به الناس فصعد المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال (إن جعفر بن أبي طالب مر مع جبرئيل وميكائيل عوضه الله من يديه جناحين فسلم عليَّ) ثم أخبرهم بما أخبره به فهذه الأحاديث تدل علىٰ أن الله تعالىٰ يأذن لعباده الشهداء وغيرهم من الصالحين في بعض الأمور التي ينتفع بها الناس وفي هذا آثار كثيرة ذكرها علماء الحديث عن السلف منها ما ذكره السيوطي قال أخرج ابن أبي الدنيا من طريق يزيد بن سعيد القرشي عن أبي عبدالله الشامي قال غزونا الروم فخرج منا ناس يطلبون أثر العدو فانفرد منهم رجلان قال أحدهما فبينا نحن كذلك إذ لقينا شيخ من الروم فقال أبرزوا فحملنا عليه فاقتتلنا ساعة فقتل صاحبي فرجعت أريد أصحابي فبينا أنا راجع إذ قلت لنفسي ثكلتك أمك سبقني صاحبي إلىٰ الجنة وأرجع هارباً إلىٰ أصحابي فرجعت إليه فضربته فأخطأته فحملني وضرب بي الأرض وجلس علىٰ صدري وتناول شيئاً معه ليقتلني به فجاء صاحبي المقتول فأخذ بشعر قفاه فألقاه عني وأعانني علىٰ قتله فقتلناه جميعاً وجعل صاحبي يمشي ويحدثني حتىٰ انتهينا إلىٰ شجرة فاضطجع مقتولا كما كان فجئت إلىٰ أصحابي فأخبرتهم وقد ذكر هذا الأثر الزندوستي[11] صاحب روضة العلماء من الحنفية وصاحب زبدة الفقهاء[12] أيضاً وأخرج المحاملي في أماليه عن عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة قال بينما رجل في أندرله بالشام ومعه زوجته وقد

---

(١١) الزندوستي حسين البخاري توفي سنة ٤٠٠هـ١٠٠٩م.

(١٢) صاحب الزبدة إبراهيم المصري توفي سنة ٩٥٧هـ ١٥٥٠م.

Scanned by CamScanner

كان استشهد ابن لهما قبل ذلك بما شاء الله إذ رأى الرجل فارساً قد أقبل فقال لامرأته ابني وابنك يا فلانة قالت له اخسأ الشيطان ابنك قد استشهد منذ حين وأنت مفتون فأقبل على عمله واستغفر ثم نظر ودنا الفارس فقال ابنك والله يا فلانة ونظرت وقالت هو والله فوقف عليهما فقال له أبوه أليس قد استشهدت يا بني قال بلى ولكن عمر بن عبدالعزيز توفي هذه الساعة فاستأذن الشهداء ربهم في شهوده فكنت منهم واستأذنته في السلام عليكما ثم دعا لهما وانصرف ووجد عمر قد توفي تلك الساعة قال السيوطي فهذه آثار مسندة خرجها أئمة الحديث بأسانيدهم في كتبهم أوردتها تقوية لما حكاه اليافعي وتصديقاً له انتهى وقد كان ذكر في هذا الباب أشياء كثيرة من هذا النمط من أراد الاطلاع فليرجع إليه ثم قال قال اليافعي[١٣] رؤية الموتى في خير وشر نوع من الكشف يظهره الله بشراً أو موعظة و لمصلحة للميت من إيصال خبر إليه وقضاء دين أو غير ذلك ثم هذه الرؤية قد تكون في النوم وهو الغالب وقد تكون في اليقظة وذلك من كرامات الأولياء أصحاب الأحوال وقال في موضع آخر مذهب أهل السنة أن أرواح الموتى ترد في بعض الأوقات من عليين أو سجين إلى أجسادهم في قبورهم عند إرادة الله تعالى وخصوصاً ليلة الجمعة ويجلسون ويتحدثون وينعم أهل النعيم ويعذب أهل العذاب قال ويختص الأرواح دون الأجساد بالنعيم والعذاب مادامت في عليين وفي القبر يشترك الروح والجسد انتهى.

---

(١٣) عبدالله اليافعي الشافعي توفي سنة ٧٦٨هـ ١٣٦٧م في مكة المكرمة.

Scanned by CamScanner

وقال ابن القيم في كتاب الروح ومما ينبغي أن يعلم أن ما ذكرناه من شأن الروح يختلف بحسب حال الأرواح من القوة والضعف والكبر والصغر فللروح العظيمة الكبيرة من ذلك ما ليس لمن دونها وأنت ترىٰ أحكام الأرواح في الدنيا كيف تتفاوت أعظم تفاوت بحسب الأرواح وكيفياتها وقواها وبطائها وإسراعها والمعاونة لها فللروح المطلقة من أسر البدن وعلائقه وعوائقه من التصرف والقوة والنفاذ والهمة وسرعة الصعود إلىٰ الله تعالىٰ والتعلق بالله تعالىٰ ما ليس للروح المهينة المحبوسة في علايق البدن وعوايقه فإذا كانت هكذا وهي المحبوسة في بدنها فكيف إذا تجردت وفارقته واجتمعت فيها قواها وكانت في أصل شأنها روحاً علية زكية كبيرة ذات همة عالية فهذه لها بعد مفارقة البدن شأن آخر وفعل آخر وقد تواترت الرؤيا من أصناف بني آدم علىٰ فعل الأرواح بعد موتها ما لا يقدر علىٰ مثله حال اتصالها بالبدن من هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد والاثنين والعدد القليل ونحو ذلك وكم قد رؤي النبي ﷺ ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في النوم قد هزمت أرواحهم عساكر الكفر والظلم فإذا بجيوشهم مغلوبة مكسورة مع كثرة عددهم وضعف المؤمنين وقلتهم انتهىٰ ويوافق هذه النقول من فسر قوله تعالىٰ ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥] بأرواح الكمل بعد المفارقة كما ذكره جملة من المفسرين منهم البيضاوي وتبعه علىٰ ذلك المحشون والله أعلم.

Scanned by CamScanner

إثبات الكرامات للأولياء في البرزخ

الكرامة هي أمر خارق للعادة غير مقترن بدعوىٰ النبوة ولا هو مقدمة لها يظهره الله جل جلاله علىٰ يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم بالشريعة حريص علىٰ متابعة نبينا ﷺ مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح.

فأنت تلاحظ من هذا التعريف أن العلماء وضعوا قيوداً حتىٰ يغلق الباب علىٰ المدعين وحتىٰ لا تتسبب مسألة الكرامة في الخروج من الدين فأغلقوا باب دعوىٰ الكرامة إذ اشترطوا أن يكون ملتزماً بالشريعة متابعاً لنبيه ﷺ والملتزم بالشريعة لا يدعي الكرامة وأغلقوا باب الخروج من الدين حيث اشترطوا أنها غير مقترنة بدعوىٰ النبوة.

والإيمان بكرامات الأولياء من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة قال الإمام المجمع علىٰ جلالته وتلقي عقيدته بالقبول الإمام الطحاوي ما نصه (نؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم) وقال صاحب الجوهرة:

وأثبتن للأوليا الكرامه ومن نفاها انبذن كلامه

فإنكار كرامات الأولياء خطير وخطير جدا قد يخرج المسلم من الإسلام بالكلية والفاعل للكرامات كالمعجزات إنما هو الله تعالىٰ وحده لا شريك له لكن أظهرها سبحانه وتعالىٰ علىٰ أيدي أهل طاعته والامتثال بشرعه.

Scanned by CamScanner

والكرامات المذكورة في الكتاب والسنة كثيرة منها:

١- قال تعالى في حق آصف بن برخيا أحد أتباع النبي سليمان بن داود عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل:٤٠] فانتزع عرش بلقيس من اليمن إلى الشام بأسرع من طرفة عين.

٢- قصة أهل الكهف التي قصها الله علينا في القرآن فإن تلك القصة تضمنت أن أولئك الفتية ناموا ثلاثمائة عام وتسعة أعوام دون أن يتناولوا فيها طعاماً ولا شراباً وهي مدة لم تجر العادة بأن ينامها أو ينام القريب من القريب منها أحد كما أن العادة لم تجر بأن يصبر عن الطعام والشراب أحد في مثلها أو فيما يداني ما يدانيها وتضمنت أنه تعالى تولى تقليبهم ذات اليمين وذات الشمال بدون أي سبب ليكون نومهم معتاداً لا تتألم منه جنوبهم كل تلك الرقدة الطويلة وهي عناية أفخم مما لو تركهم على جنب واحد وسلب عنهم الألم وتضمنت أنه تعالى أنامهم بحالة تجعل الناظر إليهم يحسبهم أيقاظاً وهم رقود وذلك من أسباب بعد السوء وأهله عنهم فإنَّ اليقظ دائماً مهيب بخلاف النائم الذي يستطيع أن يكيد له أضعف الناس وهو لا يشعر وتضمنت أنه تعالى ألقى عليهم من الهيبة ما يكفي لأن يملأ من يطلع عليهم رعبا ويحمله على أن يولي منهم فرارا وهو مبالغة في المحافظة عليهم من أرباب الشر من الناس وتضمنت أنه تعالى جعل الشمس إذا طلعت وإذا غربت لا تصيب المكان الذي هم به حفظا لهم من الشمس ومن حرارتها أن تؤذيهم منعها تعالى من إصابة الفجوة التي هم بها من الكهف مع أنه لا حاجب يحجبها عن تلك الفجوة إلا محض القدرة الإلهية ولذلك قال تعالى في هذه المنحة ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ نعم إنها من آيات الله

Scanned by CamScanner

الكبرىٰ الدالة علىٰ أن قدرته تعالىٰ لا تقف عند حد نعم كان قادراً ربنا أن يحميهم من حرارتها مع تسلطها عليهم أو يسلبها الحرارة بالنسبة لهم ولكن ما فعله تعالىٰ أفخم وأضخم.

وإنما أعطىٰ ربنا تعالىٰ هؤلاء الفتية كل هذه الخوارق لوجاهتهم عنده وعلو رتبتهم السامية التي يعلمها هو سبحانه وتعالىٰ.

٣- ومما يدل دلالة قاطعة علىٰ جاه أولياء ربنا عنده ما فعله جل وعلا مع السيدة الجليلة الكاملة سيدتنا مريم بنت عمران رضي الله تعالىٰ عنها فإنه تعالىٰ قال عنها في كتابه ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٣٧].

فإنَّ سيدنا زكريا عليه السلام لا يقول لها أنىٰ لك هذا وهو يرىٰ أن ما عندها من الرزق وصل إليها من طريق معتاد وهي لا تقول له في الجواب هو من عند الله وهو من المعتاد من الأرزاق فلم يبق إلا أنه كان يجيئها من طريق غير مألوف وذلك هو الكرامة ونداء الملائكة لها غير مألوف ورؤيتها لسيدنا جبريل ليست بمألوفة وحملها لسيدنا عيسىٰ بلا مس بشر غير مألوف وكلامه عليه وعلىٰ نبينا الصلاة والسلام في المهد من أجل براءتها ليس بمألوف وكله حكاه القرآن فلا شك فيه وهل يكرمها ربها بكل تلك الكرامات العظيمة إلا لما لها عنده تعالىٰ من الوجاهة والمنزلة السامية إن ذلك من البديهيات التي لا تحتاج في إدراكها إلىٰ طول تفكير وفي القرآن كثير غير هذا.

Scanned by CamScanner

وأما ما جاء في السنة فشيء تصعب الإحاطة به ولا بأس من ذكر شيء منه:

١- روىٰ البخاري رحمه الله أن سيدنا خبيباً ﷺ كان يأكل الفاكهة في غير أوانها وهو أسير.

٢- وروىٰ البخاري رحمه الله أن رجلين خرجا من عند رسول الله ﷺ (في ليلة مظلمة فأضأت لهما عصا أحدهما فلما افترقا أضاءت للآخر عصاه).

٣- وروىٰ البخاري رحمه الله أن سيدنا سعد بن أبي وقاص ﷺ (كان إذا دعا استجاب الله دعاءه بعين ما يطلب) واتفق مسلم في هذا مع البخاري

٤- كما اتفقا علىٰ رواية أن عابداً ممن قبلنا يسمىٰ جريجاً ﷺ (اتهمته بغي أنه أبو ولدها الذي ولدته من سفاح فصلىٰ ودعا ونخس الغلام قائلا له يا غلام من أبوك فأنطق الله الوليد الجديد الولادة فأخبر بوالده الحقيقي وبرأ هذا العابد الجليل).

٥- روىٰ البيهقي والحاكم وابن سعد عن سيدنا عبدالله بن جحش ﷺ أنه كان يقول قبل يوم أحد اللهم إني أقسم عليك أن ألقىٰ العدو غداً فيقتلوني ثم يبقروا بطني ويجدعوا أنفي وأذني وتسألني بم ذلك فأقول فيك فقتل ﷺ وفعل العدو به ما طلب.

٦- وغلب المسلمين أعداؤهم في غزوة بعد رسول الله ﷺ فذهبوا إلىٰ البراء بن مالك شقيق سيدنا أنس بن مالك خادم الرسول ﷺ وقالوا يا براء أقسم علىٰ ربك فقال يا رب أقسم عليك لما منحتنا أكتافهم وألحقتني

Scanned by CamScanner

بنبيك محمد ﷺ فكان ما أقسم ﷺ وإنما طلب الصحابة ﷺ منه أن يقسم على ربه لأنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول فيه (كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك) رواه الترمذي.

٧- وكهذا الذي حصل من سيدنا البراء ما حصل من سيدنا عمرو بن الجموح ﷺ لما سمح له أولاده أن يخرج للجهاد في غزوة أحد بعد أن شكا لرسول الله ﷺ منعهم له من ذلك وكان أعرج ممن عذرهم الله تعالى إن تأخروا عن الغزو وكان مما قال لرسول الله ﷺ والله إني أريد أن أطأ بعرجتي هذه الجنة فلما خرج بسلاحه مع المجاهدين استقبل القبلة وقال اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني خائباً إلى أهلي فرزقها ﷺ ولم يرده ربه خائبا وحينئذ قال عليه الصلاة السلام (والذي نفسي بيده إن منكم من لو أقسم على الله لأبره منهم عمرو بن الجموح ولقد رأيته يطأ في الجنة بعرجته) ذكره ابن عبدالبر في الاستيعاب.

٨- وقال ﷺ مثل هذا الحديث دون لفظ منهم فلان في سيدنا أنس بن النضر عم سيدنا أنس بن مالك ﷺ لما كسرت أخته الربيع سن جارية من الأنصار وطلبوا القصاص منها وحكم به الرسول ﷺ فكان مع ذلك يقسم أن سنها لا تكسر ثم قبل أهلها الأرش ولم تكسر سن الربيع كما كان يقسم سيدنا أنس بن النضر ﷺ رواه البخاري.

٩- وقال مثله في سيدنا أويس القرني ﷺ رواه مسلم.

١٠- وشرب سيدنا خالد ﷺ السم يبرهن لقوم كافرين أن دين الإسلام حق فلم يضره رواه البيهقي وأبو نعيم وأبو يعلى ودعا ﷺ أن يكون الخل عسلاً فكان كما دعا ﷺ رواه ابن أبي الدنيا.

Scanned by CamScanner

١١- وغسلت الملائكة سيدنا حنظلة ﷺ لما قتل في سبيل الله وكان سمع خروج المؤمنين للجهاد فلم يسمح لنفسه أن يتأخر عنهم حتى يغتسل وكان جنبا.

إلى غير ذلك من الوقائع المثبتة للكرامات وما لأصحابها من الجاه والمنزلة عند الله عز وجل وهذه الكرامات الثابتة للصالحين لا يوجد أي دليل على انتهائها بانتهاء حياة الولي في الحياة الدنيا بل هي ثابتة لهم بعد الانتقال إلى البرزخ والأدلة على هذا كثيرة وسأذكر طرفاً منها **ولكن أنبه الآن** إلى خطر التفريق بين الحالتين فكأن المقرين بكرامات الأولياء في الحياة الدنيا يعتقدون أن الأحياء يقدرون على خلق الكرامة بقوة الحياة فيهم ويعجزون عنها بعد موتهم لانسلاخهم عن القوة التي كانوا يقدرون على خلق الكرامة بها وهذا هو الشرك بعينه لأنهم نسبوا الخلق من إيجاد وإعدام إلى مخلوق وأهل السنة لا ينسبون شيئاً من ذلك إلا إلى الله تعالى فهو سبحانه وتعالى يخلق المعجزة والكرامة للنبي والولي وينسبها إليهم فضلاً منه وكرماً وتشريفاً لهم وتعظيماً.

ومن الأدلة على وجود الكرامات بعد الانتقال للبرزخ ما يلي:

١- عن جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنهما قال لما حضرت أحد الجبل المشهور دعاني أبي من الليل فقال ما أراني إلا مقتول في أول من يقتل من أصحاب رسول الله ﷺ (وإني لا أترك بعدي أعز منك غير نفس رسول الله ﷺ وإن عليَّ دينا فاقض واستوص بأخواتك خيراً فاصبحنا فكان أول قتيل ودفنت معه آخر في قبره ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع آخر فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعته غير أذنه فجعلته في قبر على حده) رواه البخاري **فهنا كرامتان كرامة** في حياته

Scanned by CamScanner

وهي اطلاعه على أنه مقتول في أول من يقتل يعني علم أنه سيقتل هو وآخرون من الصحابة رضوان الله عليهم صباحاً وكرامة بعد موته حيث لم يتغير في قبره.

٢- ومن ذلك ما بعث الله تعالى لعاصم بن ثابت أمير العشرة نفر السرية التي أرسلها النبي ﷺ عيناً مثل الظلة من الدبر – النحل والزنابير – بعد قتله فحمته تلك الدبر من رسل قريش الذين جاؤوا ليقطعوا منه شيئاً يعرف به فلم يقدروا أن يقطعوا منه شيئاً واحتمله السيل ليلاً كما في رواية البخاري عن أبي هريرة ﷺ فالله تعالى يحمي أولياءه في حياتهم وبعد مماتهم كيف لا وهم أكرم الخلق على الله تعالى أحياءً وأمواتاً.

٣- وسبق حديث الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن بعض الصحابة ضرب خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر إنسان فإذا هو قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال (هي المانعة المنجية تنجيك من عذاب القبر) قال أبو القاسم السعيدي في كتاب الإفصاح هذا تصديق من رسول الله ﷺ بأن الميت المؤمن يقرأ في قبره فإن عبدالله أخبره بذلك وصدقه رسول الله ﷺ قال السيد إسماعيل الغرباني التصديق من أهم أوصاف الأنبياء والأولياء الذي يلزمنا الاقتداء بهم ومتابعتهم ولا يضرنا إذا صدق بذلك رسول الله ﷺ واتبعناه وكذب به غيره وخالفناهم والحمد لله رب العالمين.

٤- وأخرج أبو نعيم في الحلية عن جبير ﷺ قال أما والله الذي لا إله إلا هو لقد أدخلت ثابت البناني في لحده ومعي حميد الطويل فلما سوينا عليه اللبن سقطت لبنة فإذا هو في قبره يصلي وكان يقول في دعائه اللهم إن كنت أعطيت أحداً من خلقك الصلاة في قبره فأعطنيها فما كان

Scanned by CamScanner

الله ليرد دعاءه وهذه كرامة تلحق بصلاة الأنبياء في قبورهم وما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي ورجال هذه الرواية جبير وحميد الطويل المجمع على جلالتهم.

٥- ومن ذلك لما مات زيد بن خارجة الأنصاري ﷺ حسر الثوب عن وجهه بعد الموت وقال محمد رسول الله النبي الأمي وخاتم النبيين ذلك في الكتاب الأول ثم قال صدق صدق وذكر أبا بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتاً.

روى حديثه ثقات الشاميين عن النعمان بن بشير ورواه ثقات الكوفيين عن يزيد بن النعمان عن بشير عن أبيه رواه يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب.

هكذا نقله ابن عبدالبر في الاستيعاب ثم قال قال يحيى بن سعيد قال سعيد بن المسيب ثم هلك رجل من بني حطمة فسجي بثوب فسمعوا جلجلة في صدره ثم تكلم فقال إن أخا بني الحارث بن الخزرج صدق صدق يعني زيد بن خارجة المتقدم ذكره وكانت وفاتهما في خلافة عثمان ﷺ.

٦- قال ابن عبدالبر أيضاً وقد عرض مثل قصته لأخي ربعي بن خراش ﷺ أيضاً قال أخبرنا محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالمؤمن قال حدثنا إسماعيل بن محمد بن عبدالمؤمن قال حدثنا إسماعيل القاضي قال حدثنا علي بن المديني قال حدثنا سفيان بن عيينة قال سمعت عبدالملك بن عمير يقول حدثني ربعي بن خراش ﷺ قال مات أخ لي كان أطولنا صلاة وأصومنا في اليوم الحار فسجيناه وجلسنا عنده فبينما نحن كذلك إذ كشف عن وجهه ثم قال السلام عليكم قلت سبحان الله أبعد الموت قال إني

Scanned by CamScanner

لقيت ربي فتلقاني بروح وريحان ورب غير غضبان وكساني ثياباً خضراً من سندس وإستبرق أسرعوا بي إلى رسول الله ﷺ فإنه قد أقسم أن لا يبرح حتى أدركه آتيه وأن الأمر أهون مما تذهبون إليه فلا تغتروا ثم والله كأنما كانت نفسه حصاة فألقيت في طست قال علي يعني ابن المديني وقد روى هذا الحديث عن عبدالملك بن عمير غير واحد منهم جرير بن عبدالحميد وزكريا بن يحيى بن عمارة قال علي ورواه عن ربعي بن خراش حميد بن هلال كما رواه عبدالملك بن عمير ورواه عن حميد بن هلال أيوب السختياني وعبدالله بن عون وذكر علي الأحاديث كلها ا.هـ.

وذكره السيوطي في شرح الصدور صـ٧٠وفيه أن حديثه نمى إلى السيدة عائشة رضي الله عنها فقالت أما أني سمعت رسول الله ﷺ يقول يتكلم رجل من أمتي بعد الموت قال أبو نعيم حديث مشهور وأخرجه البيهقي في الدلائل وقال صحيح لا شك في صحته.

٧- واستُشهد ثابت بن قيس ﷺ باليمامة فلما دخل القبر سمعوه يقول محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم نقل ذلك محدث الديار اليمنية عماد الدين يحيى بن أبي بكر العامري رحمه الله تعالى صاحب الرياض المستطابة بجملة من روى في الصحيحين من الصحابة في كتابه بهجة المحافل بسيرة سيدنا ونبينا محمد رسول الله ﷺ أقول وقصة درع ثابت تقدمت.

Scanned by CamScanner

فائدة:

قال شيخ مشايخنا محمد يحيىٰ دوم الأهدل رحمه الله:

من بعد موت يا أخي تكلما يحيىٰ النبي عليه ربي سلما
والثاني يا أخي حبيب النجار ثم الحسين بن علي الطيار
يسمىٰ بجعفر شهيد الروم أعطاك ربي أشرف العلوم

٨- جاء في مشكاة المصابيح عن عائشة رضي الله عنها قالت لما مات النجاشي كنا نتحدث أنه لا يزال يرىٰ علىٰ قبره نور رواه أبو داود والمعنىٰ أن هذا الأمر مشهور فيما بيننا ومذكور عمن رأىٰ نور قبره في الحبشة منا ولا يتصور اتفاقنا علىٰ الكذب فهو كاد أن يكون متواتراً كما قاله ملا علي قاري في شرحها.

٩- أخرج ابن أبي الدنيا عن محمد بن عباد المكي قال حدثنا عبدالله بن رجاء عن هشام عن الحسن قال مات هرم بن حيان في يوم صائف فلما أن دفن جاءت سحابة قدر قبره فرشت ثم انصرفت.

أقول الأخبار في الباب كثيرة والآثار كذلك كثيرة والروايات الصحيحة في هذا كثيرة ولو لم يرد إلا ما أخرجه مسلم والترمذي أنه ﷺ قال اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ لكان كافياً وفوق الكفاية وهذا الباب واسع وللسلف فيه مؤلفات كثيرة منها كتاب ابن أبي الدنيا من عاش بعد الموت وكتابه كرامات الأولياء وكتابه القبور وانظر حلية الأولياء لأبي نعيم وصفوة الصفوة لابن الجوزي وعيون الحكايات له وممن ذكر كرامات الأولياء بعد الموت ابن تيمية نفسه وتلميذه ابن القيم وللعلامة السيد أحمد الحموي رسالة ماتعة سماها نفحات القرب

Scanned by CamScanner

والاتصال بإثبات التصرف لأولياء الله تعالى والكرامات بعد الانتقال ومن جملة كلامه فيها فإن قلت ما الدليل على جواز وقوع الكرامة بعد الموت وعدم اختصاصها بحال الحياة قلت الدليل على ذلك أن الكرامة بعد الموت جائزة الوقوع إذ لو لم نقل بجواز الوقوع للزم ترجيح أحد طرفي الممكن بلا مرجح وهو محال وأيضاً لو قلنا بعدم جواز الوقوع مع كونها – أي الكرامة – مخلوقة لله تعالى ومقدورة له إذ هي من جملة الممكنات وقدرته تعالى متعلقة بجميع الممكنات بأسرها إيجاداً وإعداماً على وفق إرادته تعالى لزم تعجيز القدرة تنزهت قدرته تعالى عن ذلك فإن قلت لا يلزم من جواز الوقوع الوقوع فهل ثم دليل على الوقوع قلت نعم وهو ما نقله الحافظ عبدالعظيم المنذري في كتابه الترغيب والترهيب وساق حديث ابن عباس في قراءة سورة الملك من القبر ثم قال وهذا دليل على وقوع الكرامة بعد الموت بتقريره ﷺ حيث أقر قراءة الميت سورة الملك وقال هي المانعة هي المنجية من عذاب القبر وتقريره ﷺ دليل شرعي تثبت به الأحكام كما تقرر في محله من كتب الأصول ا.هـ.

أقول وقدمت لك طائفة من الكرامات الواقعة بعد الموت فلا تغفل وأزيدك هنا قال ابن أبي الدنيا باب في إتمام المؤمن تعليم القرآن في قبره.

حدثنا صالح بن عبدالله الترمذي حدثنا الضبي بن الأشعث سمعت عطية بن زيد العوفي يقول بلغني أن العبد إذا لقي الله ولم يتعلم كتابه علمه في قبره حتى يثيبه الله عليه.

عن يزيد الرقاشي بلغني أن المؤمن إذا مات وقد بقي عليه شيء من القرآن لم يتعلمه بعث الله إليه ملائكة يحفظونه ما بقي عليه منه حتى يبعث من قبره.

Scanned by CamScanner

عن الحسن أنه سئل عن الرجل يموت ولم يتعلم القرآن يبلغ درجة أهل القرآن فبكى الحسن وقال هيهات هيهات وأنى له بذلك ثم قال بلغني أن المؤمن إذا مات ولم يأخذ من القرآن أمر حفظته أن يعلموه القرآن في قبره حتى يبعثه الله يوم القيامة مع أهله.

انظر كتاب ذكر الموت لابن أبي الدنيا المتوفي سنة ٢٨١هـ صـ١٦٤:١٦٥ وانظر أهوال القبور لابن رجب وبشرى الكئيب للسيوطي.

قال العلامة البجيرمي رحمه الله وقع السؤال في الدرس عما لو قرأ الميت آية السجدة كرامة فهل يسجد السامع له أم لا؟ قال ويمكن الجواب بأن الظاهر الأول لأن كرامات الأولياء لا تنقطع بموتهم فلا مانع أن يقرأ الميت قراءة حسنة يلتذ بها فحينئذ يشرع لسامعه السجود وإن لم يكن الميت مكلف إذ هي من المميز كذلك فليس الميت كالساهي والجماد ونحوهما ا.هـ.

وذكر العلامة البرماوي في رسالته الدلائل الواضحات في إثبات الكرامات في الحياة وبعد الممات أن ممن نص على ثبوتها في الحياة وبعد الموت شيخ الإسلام ابن الشحنة الحنفي والشيخ عبدالباقي المقدسي الحنفي في كتابه السيوف الصقال والشيخ أحمد الغنيمي الحنفي وكذا الشيخ محمد بن عبداللطيف الاحسائي في رسالته السيوف المصقلات وغيرهم.

قال العلامة إبراهيم السمنودي في سعادة الدارين الواقع من كرامات الأولياء بعد موتهم شيء كثير لا يحصى وقد أجمع على ذلك المسلمون ثم سرد طائفة من الوقائع الصحيحة الدالة على وقوع الكرامات بعد الموت أقول وما نالوا هذه الكرامات إلا لارتفاع مكانتهم

Scanned by CamScanner

وعلو جاههم عند الله عز وجل وعظيم محبة الله لهم قال سيدنا الزبير ﷺ لابنه عبدالله وقد أخبره أنه ميت لا محالة ظلماً في وقعة الجمل إن عجزت عن شيء منه أي دينه فاستعن بمولاي قال عبدالله فو الله ما دريت ما يقول حتىٰ قلت يا أبت من مولاك فقال الله فو الله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت يا مولىٰ الزبير أقض دينه فيقضيه رواه البخاري.

روىٰ الشيخان البخاري ومسلم والترمذي أنه ﷺ قال يأتي علىٰ الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقولون هل فيكم من صاحب رسول الله ﷺ فيقولون نعم فيفتح لهم ثم يأتي علىٰ الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون نعم فيفتح لهم ثم يأتي علىٰ الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقولون هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون نعم فيفتح لهم ثم يكون البعث الرابع فيقال انظروا هل ترون فيكم أحداً رأىٰ من رأىٰ أحداً رأىٰ أصحاب رسول الله ﷺ فيوجد فيفتح لهم قال العلامة مصطفىٰ الحمامي هذا الحديث مما اتفق عليه البخاري ومسلم وهذا الطراز بين الأحاديث أعلاها وأرقاها وهو يثبت أن أصحاب رسول الله ﷺ بلغوا من الوجاهة عند ربهم عز وجل إلىٰ درجة أن الله تعالىٰ يكرم بالفتح والنصر علىٰ الأعداء جيشاً لا أقول منهم ﷺ ولا من طبقة رأتهم ولا من طبقة رأت من رأتهم بل يكفي لنصر الجيش أن يكون فيه واحداً فقط رأىٰ واحداً فقط وهذا الواحد الثاني رأىٰ واحداً رأىٰ أولئك الأصحاب ﷺ.

وهذا نوع من الوجاهة يجعل من لم يؤمن بالكرامات يؤمن بها رغم أنفه كيف لا وهو يرىٰ رب العالمين يأبىٰ خذلان جيش فيه واحد في الطبقة الرابعة من أولئك الميامين ﷺ وأحب أن لا ينسىٰ القارئ أنهم ﷺ لم يبلغوا هذه الدرجة الباهرة إلا لسر هو أنهم أصحاب رسول الله ﷺ

Scanned by CamScanner

هذا هو الإكسير الذي كان ينقلب به الرجل من بدوي جلف إلى عالم ينطق بالحكمة ومن شيطان رجيم إلى ملك كريم ومن ظلمة حالكة إلى نور يتوهج توهجاً تضيء به الدنيا من مشرقها لمغربها يا رب صل وسلم وبارك على هذا الرسول الكريم وأفض علينا من بركاته ما يلحقنا بالصالحين من عبادك.

نعم كانت صحبته ﷺ تأخذ بيد من في الحضيض فترفعه إلى أرقى درجة لا تتصور رفعة البشر إليها ومن شك في هذا فليسمع قوله ﷺ (لا يحب الأنصار إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله) رواه البخاري ومسلم والترمذي هذا جاه عريض ومنزلة يعرفها الناس للرسل صلى الله عليهم وسلم أما رجل من أفراد الناس ليس بنبي ولا برسول ثم يكون حبه إيماناً وبغضه يكون كفراً يحب الله من يحبه ويبغض من يبغضه هذا شيء لولا أنا نقرأه في حديث نبوي في أعلى طبقة من الصحة لكان عجيباً وغريباً وقعه في نفوسنا ومع ذلك من دقق النظر ظهر له أن هذا المعنى الذي يخبرنا به ﷺ عن الأنصار معنى مألوف معروف ذلك أنك ترى الرجل يعامله الناس بما يعاملون به صاحبه فإن كان صاحبه محترماً عندهم احترموه وإلا أهانوه وبهذا عامل ربنا عز وجل أصحاب نبيه ﷺ وهو عنده صفوة الرسل فاختار له عز وجل صفوة الأمم لأن التناسب في الصحبة لابد منه وربنا هو الحكيم وهو العليم فغير متصور في حكمته أن يأتي بأناس ليسوا بذاك ثم يجعلهم أصحاب أجل خلقه فإن النفرة بينهما تكون مستحكمة لعدم التناسب وبعد المشارب فاستفد هذا أيها القارئ ولا يقع منك موقعاً غريباً أن يكون حب أصحابه ﷺ إيماناً وبغضهم كفراً خصوصاً إذا كان السبب الباعث على الحب أو البغض عنوان هذه الصحبة فإن الحب والبغض

Scanned by CamScanner

يكونان منصبين عليه ﷺ ا.هـ المراد نقله.

وجاه الأنبياء عند الله عز وجل عظيم وقد نص القرآن على ذلك قال ربنا عز وجل في سيدنا موسى ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩] وقال في سيدنا عيسى ﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران:٤٥] وقال تعالى على لسان إبراهيم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧] أي شديد العناية وقال في داود ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ [ص:٣٠] واستيفاء ما جاء في الأنبياء يخرجنا عن المقصود ولا شك أنَّ سيدنا محمداً ﷺ أعظمهم جاهاً وأعلاهم منزلة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] انشق له القمر وسلم عليه الحجر وأجاب لدعوته المطر وأتى إليه الشجر وقال الله عز وجل له ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥] وفي صحيح مسلم قول الله عز وجل له (إنا سنرضيك في أمتك ولا نسؤك).

واسمع قوله ﷺ (لا تمس النار مسلماً رآني أو رأى من رآني) قال طلحة – الراوي – فقد رأيت جابراً وقال موسى قد رأيت طلحة وقال يحيى وقال لي موسى وقد رأيتني ونحن نرجوا الله رواه الترمذي فإذا ثبت للأنبياء هذا الجاه العظيم وثبت للأولياء هذا الجاه الكريم وتبين ذلك كالشمس نهاراً ولا غيم فأي لوم على من يلوذ بهم ويتحبب إليهم ويسر السرور كله إذا أنعم الله تعالى عليه بمحبتهم له ورضاهم عنه ويغتم الغم كله إذا أحس بشيء من تغير قلوبهم من جهته.

وأي لوم على من يذهب إليهم ويزورهم أحياءً وأمواتاً أليس في هذا موافقة للشرع الكريم قال تعالى في الحديث القدسي (وجبت محبتي للمتحابين فيَّ والمتجالسين فيَّ والمتزاورين فيَّ والمتباذلين فيَّ) رواه مالك في الموطأ بإسناد صحيح عن معاذ بن جبل.

Scanned by CamScanner

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ (أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرىٰ فأرصد الله له علىٰ مدرجته – يعني طريقه – ملكاً فلما أتىٰ عليه قال أين تريد قال أريد أخاً في هذه القرية قال هل لك عليه من نعمة تربها قال لا غير أني أحبه في الله قال فإني رسول الله إليك إن الله قد أحبك كما أحببته فيه) رواه مسلم.

انظر إلىٰ قوله زار أخاً له في قرية أخرىٰ ألا يقتضي هذا سفراً وانظر إلىٰ عظم المكافأة ملك يبشر الزائر بمحبة الله عز وجل له وعند الترمذي عنه ﷺ (من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله ناداه مناد أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا) فهنيئاً لمن زارهم في الله و يا خيبة من تباعد عنهم وقد صح زيارته ﷺ لمن سبقه إلىٰ عالم البرزخ من أصحابه كان يكثر من زيارتهم في البقيع ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يخرج آخر كل ليلة إلىٰ البقيع فيقول السلام عليكم ثم يدعو بكل خير وقد ندبنا ﷺ إلىٰ قصد زيارة القبور بقوله (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروا القبور فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة) رواه ابن ماجه بإسناد صحيح وفي مسلم فزوروا القبور فإنها تذكر الموت.

وإذا ثبت مشروعية الزيارة لهم فلا فرق بعد ذلك من أن تكون في قريتك أو تذهب إلىٰ قرية أخرىٰ فيها من أهل الله من يستوجب زيارتك له محبة في الله عز وجل.

فالإذن بالزيارة مطلق والمطلق يبقىٰ علىٰ إطلاقه حتىٰ يرد ما يخصصه وأي لوم بعد هذا الذي قدمناه علىٰ من استشفع بهم عند الله عز وجل أو طلب منهم أن يتوجهوا له إلىٰ الله بما لهم عنده من جاه ومنزلة ويسألوه بألسنتهم الطاهرة أن يتفضل علىٰ المستشفع بهم بقضاء ماله من الحاجات.

Scanned by CamScanner

إن من لا يفعل ذلك وهو يعلم ما لهم من تلك الوجاهة والمكانة عند الله عز وجل يكون قد غبن نفسه غبناً عظيماً.

واقرأ معي قول الحق جلا وعلا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨] وكرر قراءتها متأملاً فإنَّ الحق سبحانه وتعالىٰ لم يقل إن الذين اتقوا معي ولو قالها لأفادت أنهم موضع رعايته وعنايته ونصره فإن العادة تقضي أن لا يتساهل عظيم في شأن من في معيته بل يجعلهم دائماً محط نظره وموضع حفظه وكلاءته نعم ما قال مولانا ذلك بل الذي قاله مولانا عز وجل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ فجعل نفسه سبحانه وتعالىٰ في معية عبيده الأتقياء مبالغة في عنايته بهم ومحافظته عليهم وما في هذا التعبير من بأس أبداً فإنه هو الرب والسيد علىٰ كل حال وعبيده هم عبيده وكفىٰ وإنما ذلك تنزل منه تبارك وتعالىٰ وإكرام لعبيده الأتقياء لا تشرئب الاعناق لمزيد عليه ولا فرق في هذا بين حي وميت ولا بين نبي وولي فإنَّ كلاً موصوف بالتقوىٰ وهي مدار هذه المعية التشريفية التي هي ينبوع كل إحسان فمتىٰ وجدت التقوىٰ وجدت هذه المعية الخاصة وينبغي أن يعلم أن هذه المعية الشريفة تقوىٰ كلما قويت التقوىٰ فمعية الله تعالىٰ للأنبياء أقوىٰ منها للأولياء وهي للأفضل من كل أقوىٰ منها للمفضول.

وإذا كان الله تعالىٰ معهم كان معهم كل خير فكيف نلوم من يتودد إلىٰ أولياء الله عز وجل ويزورهم ويستشفع بهم وهو إنما يفعل ذلك معهم لأنه يعلم أن معهم من بيده الآخرة والأولىٰ فهو بالتودد إليهم يتقرب إلىٰ الله ويتعرض لحب الله تعالىٰ حيث أنه أحب أحبابه وتودد إلىٰ أصفيائه وهو يعلم مدىٰ محبة الله عز وجل لهم وإكرامه سبحانه وتعالىٰ لهم ونصره سبحانه لهم ودفاعه سبحانه وتعالىٰ عنهم ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ

Scanned by CamScanner

رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر:٥١] ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [الحج:٣٨] وفي الصحيح (من عادىٰ لي وليا فقد آذنته بالحرب) فالذي يحب أولئك المتقين ويدنو منهم للتبرك بهم إنما يفعل ذلك ليسعد في هذه الحياة الأبدية ومن يلوم من يسعىٰ ليسعد السعادة المطلقة؟

من هنا نفهم أن حب الصالحين أحياءً وأمواتاً والتودد إليهم ينفع المحب لا في دينا فقط ولا في أخراه فقط بل ينفعه في الدنيا والآخرة معاً وكيف لا ينفعه ذلك النفع ومع المحبوب من بيده الآخرة والأولىٰ ونفهم أن إيذاء أولئك الأصفياء لا يضر من يؤذيهم في دنياه فقط ولا في أخراه فقط بل يضره فيهما جميعاً وكيف لا يكون ضرر مؤذيهم بهذه الدرجة والمنتقم جل جلاله القدير جل جلاله يحارب هذا المؤذي (من عادىٰ لي ولياً فقد آذنته بالحرب) أخرجه البخاري.

إذن ليس اللوم علىٰ من يحب أولياء الله تعالىٰ وأحبابه بل اللوم كل اللوم علىٰ من يحتقرهم ويستصغرهم ويهون من أمرهم وينفر الناس عنهم إلىٰ حد أنه لـو أمكنه أن يحول بينهم وبين الناس بحيث لا تكون بينهم جامعة أبداً لفعل

فاهماً أنه يحمي الناس من الشرك وعبادة غير الله تعالىٰ وهو يحول جهلاً بين الناس وبين التقرب إلىٰ الله بإكرام أحبابه وزيارتهم والاستشفاع بهم والتبرك بهم.

Scanned by CamScanner

هذا هو الذي يتوجه عليه اللوم بل أشد اللوم لأنه بفعله هذا يؤذي أولياء الله ويستخف بمقامهم بعدِّهم أصناماً تعبد من دون الله عز وجل ويؤذي الناس بالتسبب من حرمانهم من التودد والزيارة والاستشفاع بمن معهم رب الفضل والجود في الدنيا والآخرة.

وإن من الأضاحيك أن يقول القائل إن التوسل والاستشفاع جائز إذا كان بالأحياء وليس بجائز إذا كان بالأموات فإن هذا القول يشم منه رائحة أن الحي لحياته يعمل فيمكن أن يقضي الحاجات وأن الميت لموته لا يعمل فلا يقضي الحاجات هذا ليس من عقائد المسلمين ولا يعرفه صغير منهم ولا كبير قال بعض المحققين والفرق بين الحي والميت – يعني في التوسل والاستشفاع – فرق مضحك لا نعلم أحداً من علماء الإسلام لا من المتقدمين ولا من المتأخرين ذهب إليه ولا أشار إليه.

نحن ما قلنا يوماً إن المنح التي يمنحها الله عز وجل لصالحي عباده هم الذين يخلقونها ويخترعونها حتى يتوقف في ذلك من يتوقف ويقول إن ذلك إنما يليق بالحي دون الميت وجعلنا بفرقه هذا نفهم أنه يسند الخلق والاختراع إلى الحي دون الميت إنما الذي نقوله في أولئك الصالحين إنهم مواضع مباركة يفاض عليها من سماء الفضل الإلهي غيوث الرحمات والبركات وأنواع الكرامات وليس بعاقل من يقول إن الحي أهل لأن تفاض عليه تلك البركات وأما الميت فليس بأهل لذلك إن المسألة قابلة لأن نقول فيها إن الميت أولى بالإحسان من الحي لأن الميت أحوج إلى الإحسان لانقطاع عمله الذي به تزداد درجاته عند الله ولأنه أصبح بعد الموت على بينة تامة من ضعف العبودية ومبلغ حاجتها إلى فيض الربوبية ولا يعلم الحي ذلك بدرجة علم الميت مع ما يعتري الحي في فترات غفلاته من دعاوى طويلة عريضة غداً، الميت لا يعرفها لو قلنا هذا لا نكون أبعدنا عن الحق في هذه المسألة.

Scanned by CamScanner

وعلى كل حال يجب أن نعلم أن هذه المنح التي يمنحها ربنا لخاصة خلقه ليس لهم فيها أكثر من أن يتمتعوا بها ويفرحوا فرح شكر بظهورها على أيديهم وربنا تعالى هو الذي يتولى منحها لهم أو لغيرهم من أجلهم أما هم فلا دخل لهم في خلق ذلك لا و هم أحياء ولا وهم أموات فليحفظ هذا ثم ليحفظ وإني لأعجب ممن يقول أنا لا أنكر الاستغاثة بالحي إنما كل إنكاري على الاستغاثة بالميت لأن الحي له حركة وعمل فإذا استغيث به تحرك وسعى إلى المستغيث وعمل معه ما يطلبه منه وفعله هذا مندوب إليه ومرغب فيه ومأمور به أما الميت فلا يتأتى منه ذلك لهذا أرى الاستغاثة بالميت كفراً وشركاً.

وإنا نأسف أشد الأسف لهذا العقل الذي ينقل الشيء من مأمور به مرغب فيه أشد الترغيب إلى منهي عنه منفر عنه كل التنفير وهو هو بعينه لم يتغير أي تغير فإن الاستغاثة بالميت صيغتها هي هي التي يستغاث بها الحي وعقيدة المستغيث بالميت هي بعينها عقيدة المستغيث بأخيه الحي يستغيث بكل منهما أن يعينه على قضاء حاجته بصفته السببية ولا يعتقد لا في الحي ولا في الميت أن له أدنى دخل في الإيجاد والخلق.

ولعل ذلك الفريق يرى أن الميت صار كالحجر لاحس ولا حركة له فكيف يستغاث به؟ إنا نعوذ بالله من اعتقاد مثل هذا في أي ميت فضلاً عن أحباب ربنا عز وجل ومع ذلك نتكلم معهم حتى على هذا الفرض فنقول إن غاية ما حصل ممن يستغيث بالميت الذي صار كالحجر في نظركم أنه اعتقد ما ليس سبباً سبباً ومن هذه حاله معذور من يرميه بأنه بلغ من الجهل درجة كبيرة فهو في استغاثته عابث ولا فائدة له منها والذي ينبغي أن يتنبه مثل هذا من هذه الغفلة العظيمة وأن يعمل على تخليص نفسه من هذه الغباوة الفريدة فإذا كان ذلك استيقظ ووجه

Scanned by CamScanner

استغاثته إلى من يمكن أن يسمعه ويغيثه هذا الذي نقرره في مثل ذلك الغبي الفرضي ولا يمكن أبداً أن نقول لمثل هذا أنت تستغيث بمن لا يخلق فاهماً أن يخلق حتى نصدر عليه حكمنا بكفره وإشراكه فإنه حينما يستغيث بالأحياء الذين يجيزون له الاستغاثة بهم لا يعتقد فيهم أنهم يخلقون له ما يستغيث بهم لأجله وإلا كان ذلك كفراً مع أن الله تعالى أمر به وهل يأمر ربنا بالكفر؟

كل هذا نقوله على تقدير أن المنتقل من هذه الدار من أحباب الله تعالى لا قيمة له أصلاً ولا إعانة له بحال ونحن لا نقوله ولا نجيز لأحد أن يقوله ونرى ضلالاً عظيماً أن يقوله مؤمن بالله تعالى ذلك أنا أبَنَّا بالبرهان القاطع فيما سبق أن الأنبياء أحياء في قبورهم يرون ويسمعون ويعملون حتى الحج والتلبية وذلك شيء كثير فهل كثير على من ذلك حاله أن يتولى إعانة غيره كما يعينه أي حي وإن كان ذلك الغير لا يشعر به ولا يراه.

وهذا القرآن يصرح أن الشهداء أحياء يرزقون أي يأكلون ويشربون ويتلذذون بذلك تلذذ الحي الذي يرزق في هذه الحياة فإنه تعالى سوّى بينهما في أنه يرزق كلاً منهما وكذلك من هذا حاله ليس بكثير عليه أن يعين سواه.

وقد عرفت مما سبق أيضاً أن أرواح الصالحين تجول في هذا العالم بإذن ربها وتقول ما تقول وتفعل ما تفعل لمن شاء ربنا أن تقول له وأن تفعل ومن يقول إن أمثال هؤلاء كثير عليهم أن يعينوا، زد على هذا ما صرح به القرآن من أنه تعالى مع الذين اتقوا ولم يقل القرآن إنه معهم وهم في دار التكليف فقط بل أطلق فدل ذلك على أنه معهم في كل حال

Scanned by CamScanner

في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة ومن في الدنيا يرىٰ كثيراً علىٰ الله تعالىٰ أن يكرم هؤلاء الأحباب بإغاثة من يستغيث بهم بواسطتهم أو مباشرة وليتأكد القارئ أن هذا الذي يستغيث بهم لا يستغيث بهم جزافا بل يستغيث بهم لأنهم أحباب ربنا وأولياؤه فاهماً أنه تعالىٰ وليهم في الدنيا والآخرة ولذلك لا نراه أبداً يستغيث بسواهم ممن فارق هذه الحياة إذن هذه الاستغاثة موجهة في الحقيقة إلىٰ ربهم ووليهم ومن استغاث بعبدك وهو يعلم أنه لا حول ولا قوة له إلا بك فهو مستغيث بك وإذا أنت سخرت ذلك العبد في إغاثته ومكنته من ذلك فأنت المغيث في الحقيقة والعبد آلة هذه الإغاثة وهذه الحقيقة لا تخرج المستغيث عن أن يكون مستغيثاً بعبدك ولا تخرج العبد إذا أغاث بقوة سيده عن أن يسمىٰ مغيثاً فليعلم.

ثم كثيراً ما ترىٰ بعض الناس يستغيث بنبي أو ولي فتسأله ماذا يعمل لك هذا وهو مثلك أيخلق لك ما له تستغيث به؟ فيبادرك في الحال بقوله إني استغيث به لأنه أقرب إلىٰ ربي مني فلعله يتوجه إلىٰ ربه بوجهه الوجيه عنده ويبتهل إليه بلسانه الطاهر أن يقضي لي حاجتي.

فالمتوسل والمستشفع والمستغيث لا يرفع حاجته إلا إلىٰ ربه ولا يطلب قضاءهامن غيره وكل ما في الأمر أنه يرىٰ نفسه ملطخاً بقاذورات المعاصي أبعدته الغفلات عنه تعالىٰ أي إبعاد فيفهم من هذا أنه جدير بالحرمان من تحقيق مطالبه وقضاء حاجاته وله الحق في هذا الفهم فإن الله تعالىٰ إنما يتقبل من المتقين وشؤم المعاصي معروف أثره في الحرمان من الخيرات لأجل هذا يتقدم المتوسل إليه تعالىٰ بأحبابه الذين لا يعرفون إلا طاعته مبتهلاً إليه بجاههم عنده وحرمتهم لديه أن يقضي له حاجته لأجل هؤلاء الأحباب الذين تقدم بهم إليه وهؤلاء الأحباب هم الذين

Scanned by CamScanner

عودهم تعالىٰ أن ينعم عليهم فالمتوسل انحاز إليهم وبهم طلب حاجته عسىٰ أن يحظىٰ بالإنعام عليه بحاجته وهو بين هؤلاء المنعم عليهم وهم القوم لا يشقىٰ جليسهم فقط فكيف بمن جعلهم وسيلته إلىٰ من عودهم الإنعام والإحسان وهو تلطف في المسألة جدير صاحبه أن يسعف بحاجته ولا يحرم منها.

وإذا كان هذا هو السر في التوسل فلا أثر إذن فيه لحياة المتوسل بهم أو موتهم.

فإنهم أحباب ربنا تعالىٰ علىٰ أي حال كانوا وحرمتهم عنده هي حرمتهم وإنعامه عليهم إنعامه أحياء كانوا أم أمواتا وهو يكرم محبهم كما يهين مبغضهم علىٰ أي حال كانوا فلا بُعْدَ إذاً أن يكرم محبهم المتوسل إليه بهم بقضاء حاجته.

إذا عرفت هذا عرفت أنه في ناحية وقول من يقول إن التوسل لا يجوز إلا بالأحياء في ناحية أخرىٰ لا صلة بينهما ولا قرب والله أعلم.

وإن قال هذا الفريق إن هذه الاستغاثة والاستشفاع والتوسل بالأموات لم تكن في الصدر الأول ولا حصلت من واحد من سلفنا الصالح ولو كانت خيراً لكانت منهم وما فاتتهم **فأقول** إن هذا النفي اللساني سهل جداً لا يكلف النافي أكثر من تحريك لسانه حركة بسيطة أما إثبات ذلك فدونه أهوال فإنَّ هذا النافي ما كان مع كل فرد من أفراد السلف الصالح يسمع كل كلمة ينطقون بها ويرىٰ كل عمل يصدر منهم حتىٰ يصح منه هذا النفي الكلي قد يقول إنه لم ينقل عنهم ولو كان لنقل من ذلك شيء وإنا نقول له إن النقل لم يحط بكل ما كان في ذلك العهد فكم من أعمال وأقوال كانت ولم تنقل ولو نقل كل ما صدر في ذلك

Scanned by CamScanner

الزمن من قول وفعل لضاقت عنه الأوراق ووقفن عجزا عن نقله الأقلام على أنا نقول أن أئمة هذا الدين قادة الخلق وورثة الأنبياء قد استغاثوا واستشفعوا في عصورهم المختلفة بدءاً بالصحابة إلى يومنا هذا استشفعوا برسول الله ﷺ وبغيره من الأنبياء والصالحين وهم أعلم الناس بالدين وبأسراره وما يجيزه وما يمنعه وقد نقل ذلك عنهم والمنقول عنهم في هذا الباب صحيح الإسناد وكثير كثير لا يمكن إحصاؤه وإن شئت أن تسمع من ذلك شيئاً فدونك هذه الإشارة ولو بسطت النقل لملئت المجلدات قال في محق التقول صـ ١٠٤ وعلى التوسل بالأنبياء والصالحين أحياءً وأمواتاً جرت الأمة طبقة فطبقة وقال السمهودي في الوفا اعلم أنَّ الاستغاثة والتشفع بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبجاهه وببركته إلى ربه من فعل الأنبياء والمرسلين وسنن السلف الصالحين وإلى النقول الموجزة:

١- رواية مالك الدار عن بلال بن الحارث المزني الصحابي ومجيئه قبر النبي ﷺ وقوله للرسول ﷺ يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا وهي رواية صحيحة تقدم إخراجها.

٢- وأخرج الدارمي في سننه باب ما أكرم الله تعالى نبيه بعد موته حدثنا أبو النعمان حدثنا سعيد بن زيد حدثنا عمر بن مالك النكري حدثنا أبو الجوزاء أوس بن عبدالله قال (قُحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها فقالت انظروا إلى قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كواً إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف قال ففعلوا فمطرنا مطراً حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق) رجاله رجال مسلم ما عدا عمرو بن مالك النكري وهو ثقة.

Scanned by CamScanner

٣- روىٰ الخطيب ج١صـ١٣٣ بسنده إلىٰ أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي قال سمعت الحسن بن إبراهيم أبا علي الخلال يقول ما همني أمر فقصدت قبر موسىٰ بن جعفر فتوسلت به إلا سهل الله تعالىٰ لي ما أحب

٤- روىٰ الخطيب ج١ صـ١٣٥ عن أبي عبدالله محمد بن علي بن عبدالله الصوري قال سمعت أبا الحسين محمد بن أحمد بن جميع يقول سمعت أبا عبدالله بن المحاملي يقول أعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة ما قصده مهموم إلا فرج الله همه.

٥- وروىٰ الخطيب في تاريخ بغداد أيضا ج١صـ١٣٥أخبرنا القاضي أبو عبدالله الحسين بن علي بن محمد الصيمري قال أنبأنا عمر بن إبراهيم قال أنبأنا علي بن ميمون قال سمعت الشافعي يقول إني لأتبرك بأبي حنيفة وأجيء إلىٰ قبره في كل يوم -يعني زائراً- فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت إلىٰ قبره وسألت الله تعالىٰ الحاجة عنده فما تبعد عني حتىٰ تنقضي.

٦- وروىٰ الخطيب في تاريخه ج١صـ١٣٤بسنده إلىٰ أبي علي الصفار قال سمعت إبراهيم الحربي يقول قبر معروف الترياق المجرب ا.هـ.

أقول إبراهيم الحربي كان حافظا فقيهاً مجتهداً شبَّه بأحمد بن حنبل وكان أحمد بن حنبل يرسل عنده ابنه ليتعلم عنده الحديث.

ومعنىٰ قوله ترياق مجرب الترياق هو دواء مركب من أجزاء وهو معروف عند الأطباء القدامىٰ بكثرة منافعه.

وقد شبَّه الحربي قبر معروف بالترياق في كثرة الانتفاع فكأن الحربي يقول أيها الناس اقصدوا قبر معروف تبركاً به من كثرة منافعه.

Scanned by CamScanner

وقال الحافظ سراج الدين بن الملقن في كتابه طبقات الأولياء ذهبت إلى قبر معروف الكرخي فالأمر الذي كان يصعب عليَّ ينقضي لما أدعوا الله هناك عند قبره.

٧- وهذا الإمام التابعي الكبير محمد بن المنكدر حلاه الذهبي في السير ج٥ صـ٣٥٣:٣٥٨ بالإمام الحافظ القدوة شيخ الإسلام ولد سنة بضع وثلاثين.

قال مصعب بن عبدالله حدثني إسماعيل بن يعقوب التيمي قال كان ابن المنكدر يجلس مع أصحابه فكان يصيبه صمات فكان يقوم كما هو حتى يضع خده على قبر النبي ﷺ ثم يرجع فعوتب في ذلك فقال إنه يصيبني خطر فإذا وجدت ذلك استعنت بقبر النبي ﷺ.

٨- قال الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء ج١صـ٣٩٨:٤٠٠ في ترجمة ابن المقرئ الشيخ الحافظ الجوال الصدوق مسند الوقت أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زادان الاصبهاني ابن المقرئ صاحب المعجم والرحلة الواسعة ولد سنة خمس وثمانين ومئتين إلى أن قال وروي عن أبي بكر بن أبي علي قال كان ابن المقرئ يقول كنت أنا والطبراني وأبو الشيخ بالمدينة فضاق بنا الوقت فواصلنا ذلك اليوم فلما كان وقت العشاء حضرت القبر وقلت يا رسول الله الجوع فقال لي الطبراني اجلس فإما أن يكون الرزق أو الموت فقمت أنا وأبو الشيخ فحضر الباب علوي ففتحنا له فإذا معه غلامان بقفتين فيهما شيء كثير وقال شكوتموني إلى النبي ﷺ رأيته في النوم فأمرني بحمل شيء إليكم ا.هـ.

Scanned by CamScanner

أقول هؤلاء ثلاثة من أساطين الحفاظ المحدثين أهل السنة باتفاق ابن المقرئ وأبو الشيخ والطبراني.

٩- قال الإمام ابن حبان الحافظ المسند في كتابه الثقات ج٨صـ٤٥٧ في ترجمة الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ بعد ذكر وفاته وأنه سنة ثلاث ومئتين ما نصه وقبره بسناباذ خارج التوقان مشهور يزار بجنب قبر الرشيد قد زرته مراراً كثيرة وما حلت بي شدة في وقت مقامي بطوس فزرت قبر علي بن موسى الرضا صلوات الله على جده وعليه ودعوت الله إزالتها عني إلا استجيب لي وزالت عني تلك الشدة وهذا شيء جربته مراراً فوجدته كذلك أماتنا الله على محبة المصطفى وأهل بيته ﷺ وعليهم أجمعين.

١٠- قال الحافظ الذهبي في السير ج١٠ صـ١٠٠:١٠١ في ترجمة الذهلي إمام جامع همذان وركن السنة أبو الحسن علي بن حميد بن علي الذهلي الهمذاني إلى أن قال وكان ورعاً تقياً محتشماً يُتبرك بقبره مات سنة اثنتين وخمسين وأربع مائة وقد قارب الثمانين ا.هـ.

١١- قال الحافظ الذهبي في السير ج٢١ في ترجمة الحجري صـ٢٥١:٢٥٢ بعد أن حلاه بقوله الشيخ الإمام العلامة المعمر المقرئ المجود المحدث الحافظ الحجة شيخ الإسلام أبو محمد عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله.... الحجري.... ولد سنة خمس وخمس مئة.

إلى أن قال سمعت أبا الربيع بن سالم يقول صادف وقت وفاته- يعني الحجري -قحط فلما وضعت جنازته توسلوا به إلى الله فسقوا وما اختلف الناس إلى قبره مدة الأسبوع إلا في الوحل ا.هـ.

Scanned by CamScanner

وسئل العلامة المحدث الفقيه محمد عابد السندي عن قول الإنسان أغثني يا رسول الله مع أن المتكلم بها يكون في المدينة أو خارجها هل يجوز ذلك أم لا وعلى القول بالجواز هل هو خاص بالنبي أو يعم كل ولي فأجاب جواباً مطولاً ملخصه:

وبعد فلا يخفى أن قول القائل أغثني يا رسول الله ما أراه مستنكراً ولا مستقبحاً لأنه:

١- إما أن ينكر وجود شعور للميت وسماعه لما يسمع.

فيجاب عنه بأنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة القوية ما يقتضي أن للميت شعورا بعد موته وسماعاً لما يسمع منها وسرد الأدلة على ذلك وقد سبق الإشارة إليها فلا أطيل بإعادتها.

٢- وإما أن ينكر دعاء غير الله تعالى فيقول أنه لا يجوز فيجاب عنه بأن هذا مردود بما أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة في باب ما يقول إذا خدرت رجله عن أبي سعيد قال كنت أمشي مع ابن عمر رضي الله عنهما فخدرت رجله فجلس فقال له رجل أذكر أحب الناس إليك فقال يا محمداه فقام ومشى وأخرج أيضاً عن عبدالرحمن بن سعد قال كنت عند ابن عمر رضي الله عنه فخدرت رجله فقال يا أبا عبدالرحمن ما لرجلك قال اجتمع عصبها من ها هنا قلت: ادع أحب الناس إليك فقال يا محمد فانبسطت.

وأخرج أيضاً عن الهيثم بن حبيش قال كنا عند عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فخدرت رجله فقال له رجل أذكر أحب الناس إليك فقال يا محمداه فكأنما نشط من عقال فيستفاد من هذه الآثار جواز نداء الميت بعد موته قريباً كان منه أو بعيداً ويؤيد ذلك ما ورد من

Scanned by CamScanner

ألفاظ التشهد (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) فإن أي من حروف النداء على أنَّ فيه مخاطبة الميت بعد موته.

ويستفاد منه أنه لا يقتصر جوازه على اشتراط قربه من الميت بل القرب والبعد سيان في هذا الحكم وذلك لأن المصلي كان مأموراً بهذا القول في تشهده أيا كان.

٣- وإما أن ينكر جواز الاستغاثة بغير الله تعالى فيجاب عنه بأنه مردود بما أخرجه الطبراني في الكبير بإسناد رجاله ثقات عن بقية بن غزوان ﷺ عن النبي ﷺ إذا أضل أحدكم شيئاً أو أراد أحدكم عونا وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل يا عباد الله أعينوني فإن لله عباداً لا نراهم وقد جرب ذلك انتهى لفظ الطبراني.

أقول: والذي رأيته في الطبراني بلفظ إذا أضل أحدكم شيئاً أو أراد غوثاً وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل يا عباد الله أغيثوني يا عباد الله أغيثوني فإن لله عباداً لا نراهم ورواه البزار عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ إنَّ لله ملائكة سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر فإذا أصابت أحدكم عرجه بأرض فلاة فليناد يا عباد الله أعينوني.

قال الهيتمي في المجمع رجاله ثقات وحسنه الحافظ ابن حجر في أمالي الأذكار وقد سبق النقل عن الهيتمي أن الطبراني جرب ذلك.

وممن جربه أيضاً الإمام أحمد بن حنبل روى البيهقي في الشعب وابن عساكر من طريق عبدالله بن الإمام أحمد وكذا ذكره عبدالله بن الإمام أحمد في المسائل بإسناد صحيح سمعت أبي يقول حججت خمس حجج منها ثنتين راكباً وثلاثة ماشياً أو ثنتين ماشياً وثلاثة راكباً فضللت

Scanned by CamScanner

الطريق في حجة وكنت ماشياً فجعلت أقول يا عباد الله دلوني على الطريق فلم أزل أقول ذلك حتى وقعت على الطريق.

وذكر هذه القصة العلامة ابن مفلح الحنبلي تلميذ ابن تيمية في الآداب الشرعية ولم ينبه على أن ذلك شركاً قال الإمام النووي في الأذكار روينا في كتاب ابن السني عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاه فليناد يا عباد الله احبسوا يا عباد الله احبسوا فإن لله عز وجل حاضراً سيحبسه.

قلت حكى لي بعض شيوخنا الكبار في العلم أنه انفلتت له دابة أظنها بغلة وكان يعرف هذا الحديث فقال فحبسها الله عليهم في الحال.

وكنت أنا مرة مع جماعة فانفلتت منها بهيمة وعجزوا عنها فقلته فوقفت في الحال بغير سبب سوى هذا الكلام انتهى كلام الحافظ النووي.

قال العلامة يوسف أحمد الدجوي رحمه الله هؤلاء إن كانوا يمنعون التوسل والاستغاثة ويجعلونهما شركاً من حيث إنهما توسل واستغاثة فاستغاثة المظلوم بمن يرفع ظلمه إذاً شرك واستغاثة الرجل بمن يعينه في بعض شؤونه شرك واستغاثة الملك بجيشه لدى الحروب شرك واستغاثة الجيش بالملك فيما يصلح أمره شرك بل نقول يلزمهم على هذا الفرض أنَّ طلب المعونة من أرباب الحرف والصنائع التي لا غنى للناس عنها شرك وطلب المريض للطبيب شرك بل يلزم بناء على تلك الكليات التي تقتضيها الحيثية أن استغاثة الرجل الإسرائيلي بسيدنا موسى عليه السلام وإجابته إياه كما قال تعالى ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص:١٥] شرك إلى غير ذلك مما لا يقول به عاقل

Scanned by CamScanner

فضلاً عن فاضل.

هذا كله إن كانوا يقولون إنها ممنوعة من حيث إنها استغاثة بغير الله كما فرضنا فإن قالوا إن الاستغاثة والتوسل بالأموات شرك دون الأحياء قلنا لهم لا معنى لهذا بعد أن سلمتم أن الاستعانة بغير الله من الأحياء ليست بشرك وبعد ما ورد به القرآن ووقع عليه الإجماع في كل زمان ومكان ولا معنى لأن يكون طلب الفعل من غير الله شركاً تارة وغير شرك تارة أخرى فإن فيه نسبة الفعل لغير الله على كل حال.

وإن قالوا إننا لا نعتقد التأثير الذاتي من الأحياء الذين نطلب منهم المعونة قلنا لهم يجب إذاً أن تجعلوا مناط المنع هو اعتقاد التأثير الذاتي لغير الله تعالى لا فرق بين الأحياء والأموات فإن وجد ذلك الاعتقاد كان شركاً وإلا فلا سواء كانت الدعوة لحي أو ميت وإن كان مناط المنع هو تلك السببية الظاهرة التي تفهم من ظواهر الألفاظ وجب أن يكون ذلك كله شركاً حتى طلب الرجل من أخيه أن يعينه في الحمل على دابته أو بناء داره أو حفر نهره إلى غير ذلك كما أوضحنا في الفرض الأول.

فإن قالوا إننا ننسب تلك الأفعال والتأثيرات إلى غير الله تعالى من الأحياء معتقدين أن الخلق والإيجاد ليس إلا لله تعالى وأن الحي ليس له إلا الكسب لا غير قلنا لهم كذلك من يطلب من الأموات أو يتوسل بهم والقرينة فيهما واحدة وهو إيمانه بأن الله بيده ملكوت السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه لا خالق غيره ولا موجد سواه وإن كان سر المنع عندهم هو أن الميت لا يقدر على شيء مما طلب منه فنقول لهم:

Scanned by CamScanner

أولاً: لا يلزم من ذلك أن يكون الطلب شركاً بل عبثاً فقط والاستغاثة بالأحياء أقرب إلى الشرك منها بالأموات لأنها أقرب إلى اعتقاد تأثيرهم في الإعطاء والمنع بمقتضى الحس والمشاهدة لولا نور الإيمان وساطع البرهان.

ثانياً: ثم نقول لهم ما معنى قولكم إن الميت لا يقدر على شيء وما سره وباطنه عندكم؟ إن كان ذلك لكونكم تعتقدون أن الميت صار تراباً فما أضلكم في دينكم وما أجهلكم بما ورد عن نبيكم بل عن ربكم من ثبوت حياة الأرواح وبقائها بعد مفارقة الأجسام ومناداة النبي ﷺ لها يوم بدر بقوله (يا عمرو بن هشام ويا عتبة بن ربيعة ويا فلانا بن فلان إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا) فقيل له ما ذلك؟ فقال (ما أنتم بأسمع لما أقول منهم) ومن ذلك تسليمه على أهل القبور ومناداته لهم بقوله (السلام عليكم يا أهل الديار) ومن ذلك عذاب القبر ونعيمه وإثبات المجيء والذهاب إلى الأرواح إلى غير ذلك من الأدلة الكثيرة التي جاء بها الإسلام وأثبتتها الفلاسفة قديماً وحديثاً.

ولنقتصر هنا على هذا السؤال:

أيعتقدون أن الشهداء أحياء عند ربهم كما نطق القرآن بذلك أم لا؟ فإن لم يعتقدوا فلا كلام لنا معهم لأنهم كذبوا القرآن حيث يقول ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤] ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩] وإن اعتقدوا ذلك فنقول لهم إن الأنبياء وكثيراً من صالحي المسلمين الذين ليسوا بشهداء كأكابر الصحابة أفضل من الشهداء بلا شك ولا مرية فإذا ثبتت الحياة للشهداء فثبوتها لمن هو

Scanned by CamScanner

أفضل منهم أولى.

على أن حياة الأنبياء مصرح بها في الأحاديث الصحيحة وقد رأى ﷺ موسى ﷺ يصلي فوق الكثيب الأحمر وراجعه مراراً عندما فرضت الصلاة خمسين في كل يوم وليلة حتى صارت خمساً كما قابل آدم وإبراهيم وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام فهذا كله يثبت حياة الأرواح وأنه لا شك فيها فإذاً نقول حيث ثبتت حياة الأرواح بالأدلة القطعية التي قدمنا بعضها فلا يسعنا بعد ثبوت الحياة إلا إثبات خصائصها فإن ثبوت الملزوم يوجب ثبوت اللازم كما أن نفي اللازم يوجب نفي الملزوم كما هو معروف.

وأي مانع عقلاً من الاستغاثة بها والاستمداد منها كما يستعين الرجل بالملائكة في قضاء حوائجه أو كما يستعين الرجل بالرجل «وأنت بالروح لا بالجسم إنسان».

وتصرفات الأرواح على نحو تصرفات الملائكة لا تحتاج إلى مماسة ولا آلة فليست على نحو ما تعرف من قوانين التصرفات عندنا فإنها من عالم آخر ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥] وماذا يفهمون من تصرف الملائكة أو الجن في هذا العالم؟

ولا شك أن الأرواح لها من الإطلاق والحرية ما يمكنها من أن تجيب من يناديها وتغيث من يستغيث بها كالأحياء سواء بسواء بل أشد وأعظم وقد ذكرنا لك فيما سبق عن ابن القيم أن الأرواح القوية كروح أبي بكر وعمر ربما هزمت جيشاً إلى آخر ما ذكرناه فإن كانوا لا يعرفون إلا المحسوسات ولا يعترفون إلا بالمشاهدات فما أجدرهم أن يسموا

Scanned by CamScanner

طبيعيين لا مؤمنين على أننا نتنزل معهم ونسلم لهم بأن الأرواح بعد مفارقة الأجساد لا تستطيع أن تعمل شيئاً ولكن نقول لهم إذا فرضنا ذلك وسلمنا به جدلا فلنا أن نقرر أنه ليست مساعدة الأنبياء والأولياء للمستغيثين بهم من باب تصرف الأرواح في هذا العالم على نحو ما قدمنا بل مساعدتهم لمن يزورهم أو يستغيث بهم بالدعاء لهم كما يدعو الرجل الصالح لغيره فيكون من دعاء الفاضل للمفضول أو على الأقل من دعاء الأخ لأخيه وقد علمت أنهم أحياء يشعرون ويحسون ويعلمون بل الشعور أتم و العلم أعم بعد مفارقة الجسد لزوال الحجب الترابية وعدم منازعات الشهوات البشرية.

وقد جاء في الحديث أن أعمالنا تعرض عليه ﷺ فإن وجد خيراً حمد الله وإن وجد غير ذلك استغفر لنا ولنا أن نقول إن المستغاث به والمطلوب منه الإغاثة هو الله تعالى ولكن السائل يسأل متوسلاً إلى الله بالنبي أو الولي في أنه يقضي حاجته فالفاعل هو الله ولكن أراد السائل أن يسأله تعالى ببعض المقربين لديه الأكرمين عليه فكأنه يقول أنا من محبيه أو محسوبيه فارحمني لأجله وسيرحم الله كثيراً من الناس يوم القيامة لأجل النبي ﷺ وغيره من الأنبياء والأولياء والعلماء.

وبالجملة فإكرام الله لبعض أحباب نبيه لأجل نبيه بل بعض العباد لبعض أمر معروف غير مجهول ومن ذلك الذين يصلون على الميت ويطلبون من الله أن يكرمه ويعفو عنه لأجلهم بقولهم وقد جئناك شفعاء فشفعنا فيه.

Scanned by CamScanner

والمقصود من ذلك كله إثبات أن الله يرحم بعض العباد ببعض على أن توجه الإنسان إلى النبي أو الولي والتجائه إليه تحس به روح النبي والولي تمام الإحساس وهو كريم ذو وجاهة عند الله تعالى كما قال تعالى في بعض أصفيائه ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب:٦٩] وكما قال في بعض آخر ﴿وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ [آل عمران:٤٥] فتعنى تلك الروح بذلك الملتجئ أشد الاعتناء في تسديده وتأييده والدعاء له هي والملائكة الذين يجلونها ويحبون مسرتها ورضاها والأنبياء والأولياء محبوبون للملائكة بشاهد قوله ﷺ (إن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل في السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه)إلى آخر الحديث وأن الملائكة لتقول للذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ [فصلت:٣١] كما نص على ذلك القرآن الشريف وذلك سر التوجه إلى الأولياء وزيارتهم لتتنبه أرواحهم لحال الزائر وتلتفت إلى معونته بما أعطاهم الله تعالى من الخصائص كما تنفع أخاك بما أعطاك الله من قوة أو وجاهة أو مكانة أو ثروة أو أعوان أو أنصار إلى آخره وإن الإنسان هو هو في الدنيا والآخرة من حيث روحه التي هي باقية في العالمين جميعاً وليس الإنسان إنساناً إلا بها كما شرحنا والأمر جلي (ولكنها الأهواء عمت فأعمت).

والخلاصة:

أنه لا يكفر المستغيث إلا إذا اعتقد الخلق والإيجاد لغير الله تعالى والتفرقة بين الأحياء والأموات لا معنى لها فإنه إن اعتقد الإيجاد لغير الله كفر على خلاف للمعتزلة في خلق الأفعال وإن اعتقد التسبب والاكتساب لم يكفر.

Scanned by CamScanner

وأنت تعلم أن غاية ما يعتقد الناس في الأموات هو أنهم متسببون ومكتسبون كالأحياء لا أنهم خالقون موجدون كالإله إذ لا يعقل أن يعتقد فيهم الناس أكثر من الأحياء وهم لا يعتقدون في الأحياء إلا الكسب والتسبب فإذا كان هناك غلط فليكن في اعتقاد التسبب والاكتساب لأن هذا هو غاية ما يعتقده المؤمن في المخلوق كما قلنا وإلا لم يكن مؤمناً والغلط في ذلك ليس كفراً ولا شركاً.

ولا نزال نكرر على مسامعك أنه لا يعقل أن يعتقد في الميت أكثر مما يعتقد في الحي فيثبت الأفعال للحي على سبيل التسبب ويثبتها للميت على سبيل التأثير الذاتي والإيجاد الحقيقي فإنه لا شك أن هذا مما لا يعقل.

فغاية أمر هذا المستغيث بالميت بعد كل تنزل أن يكون كمن يطلب العون من المقعد غير عالم أنه مقعد ومن يستطيع أن يقول إن ذلك شرك؟ على أن التسبب مقدور للميت وفي إمكانه أن يكتسبه كالحي بالدعاء لنا فإن الأرواح تدعو لأقاربهم كما في الحديث الشريف (إذا بلغهم عنهم ما يسوءهم فيقولون اللهم راجع بهم أو لا تمتهم حتى تهديهم).

بل الأرواح يمكنها المعاونة بنفسها كالأحياء ويمكنها أن تلهمك وترشدك كالملائكة إلى غير ذلك على ما شرحناه وكثيراً ما انتفع الناس برؤيا الأرواح في المنام.

Scanned by CamScanner

إثبات انتفاع الأحياء بأهل البرزخ
وانتفاع أهل البرزخ بالأحياء

اشتمل العنوان على فقرتين:

الأولى انتفاع الأحياء بأهل البرزخ، والثانية انتفاع أهل البرزخ بالأحياء.

أما الأولى: فأخرج أحمد والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن منده والطبراني أن رسول الله ﷺ قال (إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات فإن رأوا خيراً استبشروا به وإن كان أي المرئي غير ذلك قالوا اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا) وفي رواية عند الطيالسي في مسنده عن جابر بن عبدالله (وإن كان غير ذلك قالوا اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك).

وأخرج ابن المبارك وابن أبي الدنيا عن أبي أيوب قال (تعرض أعمالكم على الموتى فإن رأوا حسناً استبشروا وإن رأوا سوءاً قالوا اللهم راجع بهم).

وأخرج الحكيم الترمذي وابن أبي الدنيا والبيهقي في شعب الإيمان عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (اتقوا الله في إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم) قال ابن رجب في أهوال القبور صـ٨٨ وكان أبو الدرداء يقول عند ذلك اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملاً أخزى به عند عبدالله بن رواحة.

Scanned by CamScanner

ومن طريق بلال بن أبي الدرداء قال كنت أسمع أبا الدرداء وهو ساجد يقول اللهم إني أعوذ بك أن يمقتني خالي ابن رواحة إذا لقيته.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء عن أبي أيوب الأنصاري قال (غزونا حتى انتهينا إلى القسطنطينية فإذا قاص يقول من عمل صالحاً من أول النهار عرض على معارفه إذا أصبح من أهل الآخرة فقال له أبو أيوب أيها القاص ما تقول؟ فقال والله إن ذلك كذلك فقال اللهم لا تفضحني عند عبادة بن الصامت ولا عند سعد فيما عملت بعدهما).

وقال ابن القيم في كتاب الروح نقلاً عن ابن أبي الدنيا بسنده إلى خالد بن عمرو الأموي قال حدثني صدقة بن سليمان الجعفري قال كانت لي شجرة سمجة – أي قبيحة – فمات أبي فأبت أي رجعت وندمت على ما فرطت قال ثم زللت أيما زلة فرأيت أبي في المنام فقال أي بني ما كان أشد فرحي بك وأعمالك تعرض علينا فشبهها بأعمال الصالحين فلما كانت هذه المرة استحييت لذلك حياء شديداً فلا تخزني فيمن حولي من الأموات قال فكنت أسمعه بعد ذلك يقول في دعائه في السحر وكان لي جاراً بالكوفة أسألك إنابة لا رجعة فيها ولا خور – أي ضعفا – يا مصلح الصالحين ويا هادي المضلين ويا أرحم الراحمين.

وقال أبو الفرج ابن الجوزي الحافظ حدثني الشيخ أبو الحسن البراديسي عن بعض العدول أن رجلاً رأى في منامه قاضي القضاة أبا الحسن الزينبي فقال له ما فعل الله بك قال غفر لي ثم أنشد شعرا:

وإنَّ امرءاً ينجو من النار بعدما تزود من أعمالها لسعيد

Scanned by CamScanner

ثم قال قل لفلان وفلان رجلين كانا وصيين له لم تضيقون صدر فلانة وفلانة وفلانة فسمى ثلاث سراري له ولم أسمع بأسمائهن إلا في هذا المنام فلقي الرجل الوصيين فذكر لهما ذلك فقالا سبحان الله لقد كنا البارحة نتحدث في المسجد في التضييق عليهن.

وهذا باب واسع فيه أحاديث وآثار صحيحة كثيرة مستفيضة كما قاله ابن القيم وغيره فإذا علمت هذا تبين لك أن سائر الموتى يعلمون بأحوال أهل الدنيا إما باطلاع الله لهم من طريق كشف الغطاء والله على كل شيء قدير وإما عن طريق العرض كما ورد في هذه الأحاديث والآثار كما أنه ظاهر لك مما ورد في عرض الأعمال على الموتى أنهم يدعون للأحياء ويتسببون لهم في جلب خير أو دفع سوء هذه هي السنة الصحيحة الواجبة الاعتقاد ولم يعلم لهذا نكير إلا من جهل هذه الأخبار.

وإذا كان هذا في سائر الموتى فما بالك بالأنبياء والشهداء والصالحين فهم يشفعون ويدعون ويتسببون ويفعل الله تعالى كرامة لأجلهم ولا مانع من ذلك شرعاً ولا عقلاً.

ومن مظاهر انتفاع الأحياء بالأموات ما أخرجه ابن أبي الدنيا في ذكر الموت والخطيب في تاريخه عن جابر قال قال رسول الله ﷺ (أول تحفة المؤمن أن يغفر لمن خرج في جنازته) وهو وإن كان إسناده ضعيفاً إلا أن له شواهد عديدة تقويه وحسبك حديث المعراج وهو متواتر وفيه دعاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لسيدنا ونبينا محمد ﷺ.

Scanned by CamScanner

ومازالت وصية إبراهيم عليه وعلىٰ نبينا أفضل الصلاة والسلام التي وصلت إلينا عن طريق سيدنا محمد ﷺ ليلة الإسراء حاضرة بيننا فقد قال ﷺ (رأيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال يا محمد أقرئ أمتك السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وغراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله) رواه الطبراني فعليك يا سيدنا يا إبراهيم وعلىٰ نبينا وسيدنا محمد السلام ورحمة الله وبركاته وجزاكم الله عنا خير الجزاء.

وها نحن معشر المسلمين لليوم وإلىٰ انقضاء الدنيا نتمتع بنعمة ما أجلها وما أعظمها إنها نعمة التخفيف للصلاة من خمسين إلىٰ خمس هذه النعمة لولا سيدنا موسىٰ عليه وعلىٰ نبينا الصلاة والسلام ما رأيناها وهذا ظاهر من حديث الإسراء في قول موسىٰ لنبينا محمد ﷺ سل ربك التخفيف هكذا حتىٰ بلغت خمسا.

فأي شك يبقىٰ بعد هذا في انتفاع الأحياء بأهل البرزخ ونحن نعيش هذا الانتفاع كل يوم وليلة ونحن نتذكر هذه النعمة الجليلة التي كان لنبينا موسىٰ عليه وعلىٰ نبينا محمد ﷺ أفضل الصلاة والسلام كريم الإشارة لسيدنا محمد ﷺ أن يسأل ربه عز وجل التخفيف.

واقرأ وتأمل بإمعان فكر وسلامة صدر قوله ﷺ (حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ووفاتي خيرلكم تعرض عليَّ أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله عليه وما رأيت من شر استغفرت الله لكم).

جزاك الله عنا خيراً يا أكرم الخلق صلىٰ الله عليك وسلم تسليماً كثيراً فنحن في خير والله وإلىٰ خير ما دمت تستغفر لنا.

Scanned by CamScanner

وهذا الحديث صحيح صححه الحافظ النووي والحافظ ابن التين والحافظ القرطبي والحافظ القاضي عياض والحافظ ابن حجر العسقلاني وهو الذي نقل تصحيح من سبقه من الحفاظ المذكورين كما في الفتح.

والحافظ زين الدين العراقي إمام زمانه وولده الحافظ ولي الدين العراقي أبو زرعة والإمام الحافظ السيوطي والحافظ الهيتمي كما في مجمع الزوائد والمحدث المناوي وشيخ مشايخنا المحدث عبدالله ابن الصديق الغماري وأفرد الحديث المذكور برسالة مستقلة ونقل تصحيحه عن أخيه الحافظ المحدث أحمد الغماري.

فأي دلالة أوضح من هذا على انتفاع الأحياء بأهل البرزخ اللهم ارزقنا الفهم والفقه في الدين آمين.

أما الفقرة الثانية: وهي انتفاع الأموات بالأحياء فدلائلها كثيرة وصورها عديدة ومظاهرها واضحة فمن ذلك:

١ - صلاة الجنازة أخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال (ما من ميت تصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مئة كلهم يشفعون له إلا شُفِّعوا فيه).

وفي مسلم أيضاً عن ابن عباس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه).

وفي السنن عن مالك بن هبيرة قال قال رسول الله ﷺ (ما من مؤمن يموت فيصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون أن يكونوا ثلاثة صفوف إلا غفر له).

Scanned by CamScanner

قال الحافظ النووي رحمه الله يحتمل أن يكون النبي ﷺ أخبر بشفاعة مائة فأخبر به ثم بقبول شفاعة أربعين فأخبر به ثم ثلاثة صفوف وإن قل عددهم فأخبر به.

٢- دفن شيء معه من آثار الصالحين جاء في الدين الخالص للعلامة محمود السبكي ج٧ صـ٤٢٨:

فائدة لا بأس بدفن شيء من آثار الصالحين مع الميت لما روي عن أنس رضي الله عنه أنه كانت عنده عصبة للنبي ﷺ فدفنت معه بين جنبه وقميصه أخرجه البزار بسند رجاله موثقون ا.هـ. وعصبة بفتح فسكون واحدة العُصب وهي برود يمنية يعصب غزلها أي يجمع ويشد ثم يصبغ وينسج فيظهر موشىٰ لبقاء ما عصب منه أبيض وبوب عليه الهيتمي في المجمع دفن الآثار الصالحة مع الميت.

٣- الدعاء عند وضعه في اللحد عن سعيد بن المسيب قال حضرت مع ابن عمر رضي الله عنهما في جنازة فلما وضعها في اللحد قال باسم الله وفي سبيل الله وعلىٰ ملة رسول الله فلما أخذ في تسوية القبر علىٰ اللحد قال اللهم أجرها من الشيطان ومن عذاب القبر اللهم جاف الأرض عن جنبيها وصعد روحها ولقها منك رضوانا قلت يا ابن عمر أشيء سمعته من رسول الله ﷺ أم قلته برأيك قال إني إذا لقادر علىٰ القول بل شيء سمعته من رسول الله ﷺ رواه ابن ماجه والطبراني والبيهقي وقال إنه تفرد به حماد بن عبدالرحمن الكلبي وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان إذا سوىٰ علىٰ الميت قال اللهم إليك الأهل والمال والعشير وذنبه عظيم فاغفر له أخرجه عبدالرزاق في المصنف.

وعن عبيدالله بن أبي بكر قال كان أنس بن مالك رضي الله عنه إذا سوىٰ علىٰ الميت قام عليه ثم قال اللهم عبدك رد إليك فارأف به وارحمه

Scanned by CamScanner

اللهم جاف الأرض عن جنبيه وافتح أبواب السماء لروحه وتقبله منك بقبول حسن اللهم إن كان محسنا فضعف له في إحسانه أو قال فزد في إحسانه وإن كان مسيئاً تجاوز عنه رواه ابن المبارك وابن أبي شيبة في مصنفه.

وعن هشام عن قتادة أن أنساً رضي الله عنه دفن ابناً له فقال اللهم جاف الأرض عن جنبيه وافتح أبواب السماء لروحه وأبدله داراً خيراً من داره رواه ابن أبي شيبة في المصنف وقال الإمام الشافعي رحمه الله في الأم إذا وضع الميت في قبره قال من يضعه باسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ وأحب أن يقول اللهم أسلمه إليك الأشحاء كانوا على قربه من ولده وأهله وقرابته وإخوانه وفارق من كان يحب قربه وخرج من سعة الدنيا والحياة إلى ظلمة القبر وضيقه ونزل بك وأنت خير منزول به إن عاقبته فبذنوبه وإن غفرت فأنت العفو اللهم أنت غني عن عذابه وهو فقير إلى رحمتك اللهم اشكر حسنه وتجاوز عن سيئه وشفع جماعتنا فيه واغفر ذنبه وافسح له في قبره وأعذه من عذاب القبر وأدخل عليه الأمان والروح في قبره.

٤- تلقينه بعد الدفن أخرج الطبراني في الدعاء ومعجمه الكبير معاً عن سعيد بن عبدالله الأودي قال شهدت أبا أمامة رضي الله عنه وهو في النزع فقال إذا أنا مت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله ﷺ فقال إذا مات أحد من إخوانكم فسويتم على قبره فليقم أحدكم على رأس قبره ثم ليقل يا فلان بن فلانة فإنه يسمعه ولا يجيب ثم يقول يا فلان بن فلانة فإنه يستوي قاعداً ثم يقول يا فلان بن فلانة فإنه يقول أرشدني رحمك الله ولكن لا تشعرون فليقل أذكر ما خرجت عليه من أمر الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأنك رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبينا وبالقرآن إماما فإن منكراً ونكيراً يأخذ كل واحد منهما

Scanned by CamScanner

بيد صاحبه ويقول انطلق ما نقعد عند من قد لُقِّيَ حجته فيكون الله حجيجه دونهما فقال رجل يا رسول الله فإن لم يعرف اسم أمه قال فلينسبه إلى حواء فلان بن حواء.

ومن طريق الطبراني أورده الضياء في أحكامه وكذا رواه إبراهيم الحربي في إتباع الأموات والخلال في الشافي.

وأخرجه أبو حفص بن شاهين وأخرجه المستغفري في كتاب الدعوات.

والحديث ضعيف لضعف سعيد الأودي ومع ذلك قال الحافظ في التلخيص إسناده صالح وقد قواه الضياء في أحكامه.

وللحديث شواهد كثيرة منها الآثار المارة في الفقرة السابقة ومنها ما أخرجه سعيد بن منصور عن راشد بن سعد وضمرة بن ربيعة وحكيم بن عمير أنهم قالوا كانوا يستحبون إذا سُوي على الميت قبره وانصرف الناس عنه أن يقال للميت عند قبره يا فلان قل لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله ثلاث مرات يا فلان قل ربي الله وديني الإسلام ونبي محمد ﷺ ثلاث مرات ثم ينصرف وأخرج الطبراني من حديث الحكم بن الحارث السلمي أنه قال لهم إذا دفنتموني ورششتم على قبري ماء فقوموا على قبري واستقبلوا القبلة وادعوا لي.

وعند مسلم في الإيمان من صحيحه من طريق ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص ﷺ وهو في سياقة الموت فبكى طويلاً وحول وجهه إلى الجدار فجعل ابنه يقول يا أبتاه أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا..... فساق الحديث بطوله إلى أن قال فإذا أنا مت فلا تصحبني

Scanned by CamScanner

نائحة ولا نار فإذا دفنتموني فشنوا على التراب شناً ثم اقيموا حول قبري قدر ما ينحر جزور ويقسم لحمها حتى استأنس بكم وانظر ماذا أراجع به رسل ربي وعند أبي داود وصححه الحاكم من حديث عثمان بن عفان ﷺ قال (كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل) وكان تدل على الملازمة.

ومن شواهده أيضاً ما أورده عبدالحق ثم القرطبي في التذكرة والقمولي في البحر عن شيبة بن أبي شيبة قال أوصتني أمي عند موتها فقالت لي يا بني إذا دفنتني فقم عند قبري وقل يا أم شيبة قولي لا إله إلا الله ثم انصرف فلما كان من الليل رأيتها في المنام فقالت لي يا بني لقد كدت أهلك لولا أن تداركتني لا إله إلا الله فلقد حفظت وصيتي يا بني.

قال النووي ولم يزل أهل الشام على العمل بهذا التلقين من العصر الأول في كل زمن ممن يقتدى به وإلى الآن.

وقال ابن الصلاح أن حديث أبي أمامة اعتضد بعمل أهل الشام قديما.

وممن صرح بكون عمل أهل الشام عليه الإمام أحمد بن حنبل ونصه في المغني لابن قدامة.

قال السخاوي ولم ينفرد أهل الشام بعمله فعن القاضي أبي بكر بن العربي أنه فعل أهل المدينة وعن غيره أنه جرى عليه العمل بقرطبة وعن آخر أنه كان يفعل بمرو.

Scanned by CamScanner

ومن شواهد حديث التلقين قوله تعالى ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات:٥٥] قال القاضي ابن العربي في التلقين هو فعل أهل المدينة السادة الأخيار لقوله تعالى ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وأحوج ما يكون العبد إلى التذكير بالله تعالى عند تغير الحال وخروج الروح وعند سكرات الموت لأنه يخاف عند ذلك – والعياذ بالله – أن يحبسه الشيطان فيذكر بالله تعالى ا.هـ.

قال السخاوي بعد نقله كلام ابن العربي ونحوه قول التاج الفاكهاني في جزئه بلج اليقين في الحث على التلقين ولا يبعد عندي أن يكون في قوله ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ إشارة إلى ذكر التلقين وإن ترتب على سبب.

قال شيخي – يعني الحافظ ابن حجر – عند أهل الأصول الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قال السخاوي أيضاً في الإيضاح والتبيين بمسألة التلقين صـ ١٨٩ وقد سئل شيخنا رحمه الله هل يسمع الميت التلقين فأجاب نعم يسمع لوجود اتصال الروح بالجسد وهو اتصال معنوي لا يشبه الاتصال في الحياة بل أشبه شيء به حال النائم وإن كان هو أشد من حال النائم انفصالاً قال ولا يقاس السماع حينئذ على حال الحي إذا كان في قعر بئر مردوم مثلاً فإنه لا يسمع كلام من هو في البئر والله أعلم ا.هـ.

وقد قرر فقهاء الحنفية جواز التلقين بل ذهب جمع من محقيقهم إلى ندبه.

واستحب التلقين الشافعية والمالكية ونصوصهم في ذلك كثيرة.

Scanned by CamScanner

والمعتمد عند الحنابلة استحبابه ففي الفروع لابن مفلح وأما تلقينه بعد دفنه فاستحبه الأكثرون وفي كشاف القناع واستحب الأكثر تلقينه بعد دفنه.

قال في تسلية أهل المصاب لأبي عبدالله محمد بن محمد المنبجي الحنبلي توفي سنة ٧٨٥هـ صـ ٢٥٠:٢٥١ نص الإمام أحمد على أنه يستحب الدعاء للميت عقب دفنه ثم قال أحمد قد فعله علي بن أبي طالب والأحنف بن قيس ويروى عن عثمان بن عفان أنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل رواه أبو داود وإسناده حسن.

وروى الطبراني من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقف على القبر بعدما يسوي عليه التراب فيقول اللهم نزل بك صاحبنا وخلف الدنيا خلف ظهره اللهم ثبت عند المسألة منطقه ولا تبتله في قبره بما لا طاقة له به.

ويروى أن علياً رضي الله عنه كان يقول إذا سوى على الميت التراب عند شفير القبر بعدما يدفن اللهم عبدك وولد عبدك نزل بك وأنت خير منزول به اللهم أوسع له مدخله واغفر له ذنبه فإنا لا نعلم إلاّ خيراً وأنت أعلم به رواه حرب الكرماني في مسائله.

وكان أنس رضي الله عنه إذا سوى على الميت قبره قام عليه فقال اللهم عبدك نزل بك فارأف به وارحمه اللهم جاف الأرض عن جنبيه وافتح أبواب السماء لروحه وتقبل منه بقبول حسن اللهم إن كان محسناً فضاعف له الحسنات أو قال فزد له في إحسانه وإن كان مسيئاً فتجاوز عنه رواه الإمام أحمد والطبراني وغيرهما.

Scanned by CamScanner

وذهب الشافعي أيضاً إلى استحباب الدعاء عقيب الدفن.

وقال أكثر المفسرين في قوله عز وجل في حق المنافقين ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة:٨٤] معناه بالدعاء والاستغفار بعد الفراغ من دفنه كذلك ذكر جماعة من المفسرين لمّا همَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالاستغفار لعمه أبي طالب لمّا مات وهمَّ بعض الصحابة بالاستغفار لأبويه أنزل الله تعالى ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ﴾ [التوبة:١١٣] فلولا أنَّ ذلك نافع للمؤمنين كما تقدم لم يكن لذلك معنى بل لمّا نهي عنه للمشركين دلَّ على وقوعه للمؤمنين ونفعه لهم.

وقال محمد بن حبيب التمار كنت مع أحمد بن حنبل في جنازة فأخذ بيدي وقمنا ناحية فلما فرغ الناس من دفنه جئنا إلى القبر فجلس ووضع يده على القبر وقال اللهم إنك قلت في كتابك ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الواقعة: ٨٨] فقرأ إلى آخر السورة وقال اللهم وإنا نشهد أنَّ هذا فلان بن فلان ما كذّب بك ولقد كان يؤمن بك وبرسولك اللهم فاقبل شهادتنا له ودعا له ثم انصرف.

٥ - قراءة القرآن عند القبر عن عبدالرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه قال قال أبي اللجلاج أبو خالد يا بني إذا أنا مت فألحد لي فإذا وضعتني في لحدي فقل بسم الله وعلى ملة رسول الله ثم شُن عليَّ التراب شَنًّا ثم اقرأ عند رأسي بفاتحة البقرة وخاتمتها فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك رواه الطبراني في المعجم الكبير وإسناده صحيح آثار السنن.

Scanned by CamScanner

وفي التعليق الحسن قال الحافظ الهيتمي في مجمع الزوائد رجاله موثقون قلت وله شاهد من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت النبي ﷺ يقول إذا مات أحدكم فلا تحبسوه وأسرعوا به إلى قبره وليقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وعند رجليه بخاتمة البقرة رواه البيهقي في شعب الإيمان قال والصحيح أنه موقوف عليه وفي الأذكار للنووي وروينا في سنن البيهقي بإسناد حسن أنّ ابن عمر استحب أن يقرأ على القبر بعد الدفن أول سورة البقرة وخاتمتها ا.هـ قال في إعلاء السنن وهو موقوف في حكم المرفوع فإنه غير مدرك بالرأي.

أخرج ابن أبي شيبة حدثنا حفص بن غياث عن المجالد عن الشعبي قال كانت الأنصار يقرأون عند الميت بسورة البقرة.

أخرج الخلال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن الشعبي قال كانت الأنصار إذا مات لهم ميت اختلفوا إلى قبره يقرأون عنده القرآن.

قال رسول الله ﷺ (اقرؤوا يس~ على موتاكم) أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان وهو حديث حسن قال السيوطي في شرح الصدور قال القرطبي هذا يحتمل أن تكون هذه القراءة عند الميت في حال موته ويحتمل أن تكون عند قبره قال السيوطي وبالأول قال الجمهور وبالثاني قال ابن عبدالواحد المقدسي وبالتعميم في الحالين قال المحب الطبري من متأخري أصحابنا ا.هـ بتصرف يسير.

وقال ابن مفلح في الفروع واحتج بعضهم – يعني في القراءة على القبور – بقوله عليه الصلاة والسلام (اقرؤوا يس على موتاكم) وبأن الميت أولى من المحتضر ا.هـ.

Scanned by CamScanner

يعني أنَّ حمله على الميت هو الحقيقة اللفظية فيكون ذلك أولى من حمله على المحتضر.

ولهذا قال ابن الأمير الصنعاني في سبل السلام هو شامل للميت بل هو الحقيقة فيه.

وقال العلامة ابن حجر الهيتمي أخذ ابن الرفعة وغيره بظاهر الخبر وتبع هؤلاء الزركشي فقال لا يبعد على القول باستعمال اللفظ في حقيقته ومجازه أن يندب قراءتها في الموضعين ا.هـ.

قال ابن عابدين رحمه الله في رد المحتار لا يكره الجلوس للقراءة على القبر في المختار.

وفي الفتاوى الهندية ويستحب إذا دفن الميت أن يجلسوا ساعة عند القبر بعد الفراغ بقدر ما ينحر جزوراً ويقسم لحمها يتلون ويدعون للميت... إلى أن قال قراءة القرآن عند محمد رحمه الله لا تكره ومشايخنا رحمهم الله أخذوا بقوله.

وقرر المالكية الجواز وقرر الشافعية الاستحباب قال النووي رحمه الله قال أصحابنا ويستحب للزائر أن يسلم على المقابر ويدعو لمن يزوره ولجميع أهل المقبرة والأفضل أن يكون السلام والدعاء بما يثبت في الحديث ويستحب أن يقرأ من القرآن ما تيسر ويدعو لهم عقبها نص عليه الشافعي واتفق عليه الأصحاب.

وفي نهاية المحتاج ما نصه وسن أن يقرأ عنده – يعني القبر – ما تيسر ا.هـ.

Scanned by CamScanner

وقرر الحنابلة الجواز ونقلوه عن الإمام أحمد رحمه الله نقله الخلال عنه فقال أخبرنا أبو بكر بن صدقة قال سمعت عثمان بن أحمد بن إبراهيم الموصلي قال كان أبو عبدالله أحمد بن حنبل في جنازة ومعه محمد بن قدامة الجوهري فنهى أحمد ضريراً أن يقرأ عند القبر وقال له إن القراءة عند القبر بدعة فقال له محمد ابن قدامة الجوهري يا أبا عبدالله ما تقول في مبشر الحلبي قال ثقة قال فأخبرني مبشر عن عبدالرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عنده بفاتحة البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر يوصي بذلك فقال له أحمد فارجع وقل للرجل يقرأ ا.هـ.

أقول وهكذا يكون الرجوع للحق.

قال المنبجي الحنبلي في تسلية أهل المصاب صـ٢٤٩ فصل تستحب القراءة عند القبر لأنه قد صح عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عنده بفاتحة البقرة وخاتمتها والمشهور عن الإمام أحمد أنَّ القراءة في المقبرة عند القبر لا تكره ا.هـ قال الشيخ الإمام أبو محمد بن قدامة المقدسي في آخر كتاب الجنائز من مغنيه ما نصه:

فصل ولا بأس بالقراءة عند القبر فاقرؤوا آية الكرسي وثلاث مرات قل هو الله أحد ثم قل اللهم إن فضله لأهل المقابر ا.هـ. قال شيخنا السيد محمد علوي المالكي رحمه الله وهذا الخبر عزاه السيوطي رحمه الله إلى المحب الطبري وإلى الغزالي في الإحياء وفي العاقبة لعبدالحق عن أحمد بن حنبل بلفظ إذا دخلتم المقابر فاقرؤوا بفاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد واجعلوا ذلك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم ا.هـ.

Scanned by CamScanner

قال المرتضى الزبيدي بعد كلام أحمد بن حنبل كذا أورده عبدالحق في كتاب العاقبة عن أبي بكر أحمد بن محمد المروزي وعزاه أيضاً النسائي والرافعي في تاريخه والسمرقندي وذكر الحديث مرفوعا.

٦- وضع الجريد على القبر عن ابن عباس رضي الله عنهما مر النبي ﷺ على قبرين فقال إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ثم قال أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله قال ثم أخذ عوداً رطباً فكسره باثنتين ثم غرز كل واحد منهما على قبر ثم قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا) أخرجه أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم.

وقد بوب البخاري باب الجريدة على القبر وذكر أن بريدة بن الحصيب الصحابي ﷺ أوصى أن يجعل في قبره جريدتان قال الحافظ والذي يظهر من تصرفه – يعني البخاري – ترجيح الوضع.

قال ابن عابدين ويؤخذ من الحديث ندب وضع ذلك للاتباع ويقاس عليه ما اعتيد في زماننا من وضع أغصان الآس – الحبق والريحان – ونحوه قال وتعليله في الحديث بالتخفيف عنهما ما لم ييبسا أي يخفف عنهما ببركة تسبيحهما إذ هو أكمل من تسبيح اليابس لما في الأخضر من نوع حياة وعليه فكراهة قطع ذلك وإن نبت بنفسه ولم يملك لأن فيه تفويت حق الميت.

وفي رد المحتار أيضاً يكره قطع النبات الرطب والحشيش من المقبرة دون اليابس كما في البحر والدرر وشرح المنية وعلله في الإمداد بأنه مادام رطباً يسبح الله تعالى فيؤنس الميت وتنزل بذكره الرحمة ا.هـ ونحوه في الخانية ا.هـ.

Scanned by CamScanner

ونص أيضا على استحباب ذلك الشافعية والحنابلة في آخرين قرره عن الشافعية جماعة منهم الشمس الرملي في نهاية المحتاج حيث قال ويستحب وضع الجريد الأخضر للاتباع.

وقال ابن حجر المكي في التحفة يسن وضع جريدة خضراء على القبر للاتباع وسنده صحيح ولأنه يخفف عنه ببركة تسبيحهما إذ هو أكمل من تسبيح اليابسة لما في تلك من نوع حياة وقيس بها ما اعتيد من طرح الريحان ونحوه ويحرم أخذ ذلك لما بحث فيه من تفويت حق الميت وظاهره أنه لا حرمة في أخذ يابس أعرض عنه لفوات حق الميت بيبسه ولذا قيدوا ندب الوضع بالخضرة وأعرضوا عن اليابس بالكلية نظراً لتقييده ﷺ التخفيف بالأخضر ما لم ييبس.

وقرره عن الحنابلة جماعة منهم ابن النجار في منتهى الإرادات وشرحه حيث قال سن لزائر الميت فعل ما يخفف عنه أي عن الميت وظاهره ولو بجعل جريدة رطبة في القبر للخبر وأوصى به بريدة ذكره البخاري وفي معناه غرس غيرها ا.هـ المراد.

قال ابن الملقن استحب العلماء كما نقله النووي وغيره عنهم قراءة القرآن عند القبر لهذا الحديث لأنه إذا كان يرجى عن الميت التخفيف بتسبيح الجريد فالقرآن أولى.

قال الإمام الخطابي فيه دليل على استحباب تلاوة الكتاب العزيز على القبور لأنه إذا كان يرجى عن الميت التخفيف بتسبيح الشجر فتلاوة القرآن العظيم أكبر رجاء وبركة.

Scanned by CamScanner

وفي كشاف القناع عن متن الإقناع للعلامة منصور البهوتي وفي معنىٰ ذلك الذكر والقراءة عنده لأنه إذا رجي التخفيف بتسبيحها – يعني الجريدة – فالقراءة أولىٰ.

ومما ينتفع به الأموات من الأحياء:

٧- الدعاء قال السخاوي رحمه الله أما الدعاء فلا شك في انتفاع الميت بدعاء من يدعوا له ولداً كان أو غيره فقد قال النووي في الوصايا من شرح مسلم أجمعوا علىٰ وصول ثواب الدعاء ا.هـ.

وقال السبكي أجمعوا علىٰ حصول المدعو به إن استجاب الله وقال السبكي أيضاً الدعاء شيئان:

أحدهما: نفس الدعاء وثوابه للداعي لا للميت وحصول المدعو به إن قبله الله وليس ذلك من عمل الميت ولا يسمىٰ ثواباً ومعنىٰ نفعه للميت حصول المدعو به إن قبل وهذا معلوم من الدين بالضرورة فلا تلتفت لكلام من يخالفه ا.هـ.

قال السخاوي وكلام السبكي حيث كان الدعاء من أجنبي فإن كان من الولد حصل شيئان:

أحدهما المدعو به كما في الاجنبي وثواب الدعاء له لحديث (أو ولد صالح يدعو له) جعل ذلك من عمله وإنما يكون من عمله ويستثنىٰ من انقطاع العمل به إذا كان المراد به نفس الدعاء.

أما المدعو به فليس من عمله ا.هـ.

Scanned by CamScanner

ومن أدلة نفع الدعاء قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠] فإنه أثنى عليهم بالدعاء للسابقين فدل على أن الدعاء ينفع وقال تعالى ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡ﴾ [التوبة: ١٠٣] وقال تعالى ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [محمد: ١٩] وقال تعالى ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [نوح: ٢٨].

وفي الدعاء للجنازة اللهم اغفر لحينا وميتنا قال الشافعي رحمه الله وندب الله عز وجل إلى الدعاء وأمر به رسول الله ﷺ فإذا جاز للأخ حياً جاز له ميتاً ا.هـ.

ومن دعائه صلى الله عليه وآله وسلم عند زيارة القبور اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية أخرجها جميعاً مسلم.

٨- الصدقة قال السخاوي رحمه الله وأما الصدقة فإنها تصل أيضاً إلى الميت وينتفع بها بلا خلاف بين المسلمين قاله النووي في شرح مقدمة مسلم.

وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إنَّ أمي افتلتت نفسها ولم توص وأظنها لو تكلمت تصدقت أفلها أجر إن تصدقت عنها قال نعم.

قال في فتح الملهم فيه جواز الصدقة عن الميت وأنَّ ذلك ينفعه بوصول ثواب الصدقة إليه ولاسيما إن كان من الولد ا.هـ.

Scanned by CamScanner

قال ابن عبدالبر في الاستذكار والعلماء كافة مجمعون على أن الصدقة عن الميت جائزة مستحبة ماضية ا.هـ. المراد.

قال الرافعي رحمه الله ويستوي في الصدقة والدعاء الوارث والأجنبي.

٩- الاستغفار: ويدل عليه قوله تعالى ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩] وقوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] وفي الحديث (إنّ الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول يارب أنى لي هذه فيقول باستغفار ولدك لك) أخرجه أحمد بإسناد حسن.

١٠- الحج عن الغير وهذا مجمع عليه.

وحتى لا أطيل في نقل الجزئيات أكتفي بهذا المبحث الذي كتبه العلاّمة محمد تقي العثماني في تكملة فتح الملهم حيث قال هل للإنسان أن يجعل ثواب عمله لغيره صلاة أو صوماً أو صدقة أو غيرها فيه أقوال للعلماء:

قال العلامة ابن عابدين رحمه الله في رد المحتار صرح علماؤنا في باب الحج عن الغير بأن للإنسان أن يجعل ثواب عمله لغيره صلاة أو صوماً أو صدقة أو غيرها كذا في الهداية بل في زكاة التتارخانية عن المحيط الأفضل لمن يتصدق نفلاً أن ينوي لجميع المؤمنين والمؤمنات لأنها تصل إليهم ولا ينقص من أجره شيء ا.هـ.

Scanned by CamScanner

وهو مذهب أهل السنة والجماعة لكن استثنى مالك والشافعي رحمهما الله العبادات البدنية المحضة كالصلاة والتلاوة فلا يصل ثوابها إلى الميت عندهما بخلاف غيرها كالصدقة والحج وخالف المعتزلة في الكل ا.هـ.

قال الشيخ ابن الهمام رحمه الله وتمسكوا بقوله تعالى ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩] وسعي غيره ليس سعيه وهي وإن كانت مسوقة نصاً لما في صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام فحيث لم يتعقب بإنكار كان شريعة لنا على ما عرف والجواب أنها وإن كانت ظاهرة فيما قالوه لكن يحتمل أنها نسخت أو مقيدة وقد ثبت ما يوجب المصير إلى ذلك وهو ما في الصحيحين أنه ﷺ ضحى بكبشين أملحين أحدهما عن نفسه والآخر عن أمته والملحة بياض يشوبه شعرات سود.

وفي سنن ابن ماجه بسنده عن عائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما أنه كان إذا أراد أن يضحي يشتري كبشين عظيمين سمينين أقرنين أملحين موجوئين فذبح أحدهما عن أمته ممن شهد لله بالوحدانية وله بالبلاغ وذبح الآخر عن محمد وآل محمد ورواه أحمد والحاكم والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه وأخرج أبو نعيم في ترجمة ابن المبارك عنه عن يحيى بن عبدالله عن أبيه سمعت أبا هريرة يقول ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أقرنين أملحين موجوئين فلما وجههما قال ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٩] اللهم لك ومنك عن محمد وأمته باسم الله والله أكبر ثم ذبح رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم بنقص في المتن.

Scanned by CamScanner

ورواه ابن أبي شيبة عن جابر أنه ﷺ (أتي بكبشين أملحين عظيمين أقرنين موجوئين فأضجع أحدهما وقال بسم الله والله أكبر اللهم عن محمد وآل محمد ثم أضجع الآخر وقال بسم الله والله أكبر عن محمد وأمته ممن شهد لك بالتوحيد وشهد لي بالبلاغ).

وكذا رواه إسحاق وأبو يعلى في مسنديهما وروي هذا المعنى من حديث أبي رافع رواه أحمد وإسحاق والطبراني والبزار والحاكم ومن حديث حذيفة بن أسيد الغفاري أخرجه الحاكم في الفضائل ومن حديث أبي طلحة الأنصاري رواه ابن أبي شيبة ومن طريقه رواه أبو يعلى والطبراني ومن حديث أنس بن مالك رواه ابن أبي شيبة أيضاً والدار قطني فقد روى هذا عن عدة من الصحابة وانتشر مخرجوه فلا يبعد أن يكون القدر المشترك – وهو أنه ضحى عن أمته –مشهوراً يجوز تقييد الكتاب به بما لم يجعله صاحبه ا.هـ.

ثم ننظر إليه وإلى حديث الباب وإلى ما رواه أحمد عن عبدالله بن عمرو أن العاص بن وائل نذر في الجاهلية أن ينحر مائة بدنة وأن هشام بن العاص نحر حصته خمسين وأن عمراً سأل النبي ﷺ عن ذلك فقال (أما أبوك فلو أقر بالتوحيد فصمت وتصدقت عنه نفعه ذلك).

وما رواه البخاري وغيره عن ابن عباس أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ (إن أمي توفيت أينفعها إن تصدقت عنها قال نعم قال إنَّ لي مخرافاً فأنا أشهدك أنَّي قد تصدقت به عنها ومارواه أحمد والنسائي عن الحسن عن سعد بن عبادة أنَّ أمه ماتت فقال يا رسول الله إنَّ أمي ماتت أفتصدق عنها قال نعم قلت فأي الصدقة أفضل قال سقي الماء) قال الحسن فتلك سقاية آل سعد بالمدينة.

Scanned by CamScanner

وما روىٰ الدار قطني أنَّ رجلاً قال يا رسول الله إنه كان لي أبوان أبرهما في حال حياتهما فكيف لي ببرهما بعد موتهما فقال ﷺ (إن من البر بعد البر أن تصلي لهما مع صلواتك وأن تصوم لهما مع صيامك).

فهذه الآثار وما قبلها وما في السنة أيضاً من نحوها كثير قد تركناه لحال الطول يبلغ القدر المشترك بين الكل وهو أن من جعل شيئاً من الصالحات لغيره نفعه الله به مبلغ التواتر وكذا ما في كتاب الله من الأمر بالدعاء للوالدين في قوله تعالىٰ ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء:٢٤] ومن الإخبار باستغفار الملائكة للمؤمنين واستغفار المؤمنين لإخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان وكذا قوله تعالىٰ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ﴾ [الطور: ٢١] قطعي في حصول الانتفاع بعمل الغير فيخالف ظاهر الآية التي استدلوا بها إذ ظاهرها أنه لا ينفع استغفار أحد لأحد بوجه من الوجوه لأنه ليس من سعيه فلا يكون له منه شيء فقطعنا بانتفاء إرادة ظاهرها علىٰ صرافته فتقيد بما لم يهبه العامل وهو أولىٰ من النسخ.

قلت والذي يبعث المؤمن علىٰ إهداء الثواب لأخيه المؤمن إما إحسان المهدي له إلىٰ المهدي في دينه أو دنياه وإما مجرد عظمته ومحبته في القلوب لما علم من اتصافه بمعالي الأمور ومكارم الأخلاق وكونه ذريعة للخير ووسيلة للهداية والفلاح ولا أقل من اتصافه بالإيمان وما يتبعه من الأعمال حسب ما وفق له فليس منشأ إهداء الثواب في جميع هذه الصور إلا عمل من أعمال المهدىٰ له القلبية أو القالبية فإنه هو الباعث عليه والمحرك لدواعي الإهداء في قلب المهدي ولولا إيمان المهدىٰ له لما اجترأ مؤمن علىٰ إيصال الثواب إليه فالإهداء إنما يتسبب من إيمانه وحسناته ولا شبهة في أن أعمال المهدىٰ له كلها داخلة في (مَا سَعَىٰ) فلم يتجاوز ما

Scanned by CamScanner

وصل إليه من الثواب عن سعيه في آخر الأمر بل كل ثواب يصل إليه من بركات إيمانه وثمرات حسناته بالحقيقة والكافر لما كان صفر اليدين من الإيمان ولم يكن له سعي فيه وفيما يتبعه من الإيمانيات لم يبق مساغ لوصول الثواب إليه ولو أهدىٰ أحد إليه بجهله وسفهه كما تقدم في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص والله أعلم.

وقد ثبت في ضمن إبطالنا لقول المعتزلة انتفاء قول الشافعي ومالك رحمهما الله في العبادات البدنية بما في الآثار والله سبحانه هو الموفق.

وقال العلامة ابن عابدين رحمه الله ما مر عن الشافعي هو المشهور عنه والذي حرره المتأخرون من الشافعية وصول القراءة للميت إذا كانت بحضرته أو دعىٰ له عقبها ولو غائباً لأن محل القراءة تنزل الرحمة والبركة والدعاء عقبها أرجىٰ للقبول ومقتضاه أن المراد انتفاع الميت بالقراءة لا حصول ثوابها له ولهذا اختاروا في الدعاء اللهم أوصل مثل ثواب ما قرأته إلىٰ فلان وأما عندنا فالواصل إليه نفس الثواب وفي البحر من صام أو صلىٰ أو تصدق وجعل ثوابه لغيره من الأموات والأحياء جاز ويصل ثوابها إليهم عند أهل السنة والجماعة كذا في البدائع ثم قال وبهذا علم أنه لا فرق بين أن يكون المجعول له ميتاً أو حياً والظاهر أنه لا فرق بين أن ينوي به عند الفعل للغير أو يفعله لنفسه ثم بعد ذلك يجعل ثوابه لغيره لإطلاق كلامهم وأنه لا فرق بين الفرض والنفل ا.هـ. وفي جامع الفتاوىٰ وقيل لا يجوز في الفرائض.

Scanned by CamScanner

وفي كتاب الروح للحافظ أبي عبدالله الدمشقي الحنبلي الشهير بابن قيم الجوزية ما حاصله إنه اختلف في إهداء الثواب إلى الحي فقيل يصح لإطلاق قول أحمد يفعل الخير ويجعل نصفه لأبيه أو أمه وقيل لا لكونه غير محتاج لأنه يمكنه العمل بنفسه وكذا اختلف في اشتراط نية ذلك عند الفعل فقيل لا لكون الثواب له فله التبرع به وإهداؤه لمن أراد كإهداء شيء من ماله وقيل نعم لأنه إذا وقع له لا يقبل انتقاله عنه وهو الأولى وعلى القول الأول لا يصح إهداء الواجبات لأن العامل ينوي القربة بها عن نفسه وعلى الثاني يصح وتجزي عن الفاعل وقد نقل عن جماعة أنهم جعلوا ثواب أعمالهم للمسلمين وقالوا نلقى الله تعالى بالفقر والإفلاس والشريعة لا تمنع ذلك ولا يشترط في الوصول أن يهديه بلفظه كما لو أعطى فقيراً بنية الزكاة لأن السنة لم تشترط ذلك في حديث الحج عن الغير ونحوه نعم إذا فعله لنفسه ثم نوى جعل ثوابه لغيره لم يكف كما لو نوى أن يهب أو يعتق أويتصدق ويصح إهداء نصف الثواب أو ربعه كما نص عليه أحمد ولا مانع منه ويوضحه أنه لو أهدى الكل إلى أربعةٍ يحصل لكل منهم ربعه فكذا لو أهدى الربعَ لواحدٍ وأبقى الباقي لنفسه ا.هـ. ملخصاً

قلت: لكن سئل ابن حجر المكي الهيتمي عما لو قرأ لأهل المقبرة الفاتحة هل يقسم الثواب بينهم أو يصل لكل منهم مثل ثواب ذلك كاملاً فأجاب بأنه أفتى جمع بالثاني وهو اللائق بسعة الفضل.

Scanned by CamScanner

تتمة:

ذكر ابن حجر في الفتاوىٰ الفقهية أن الحافظ ابن تيمية زعم منع إهداء ثواب القراءة للنبي ﷺ لأن جنابه الرفيع لا يتجرأ عليه إلاَّ بما أذن فيه وهو الصلاة عليه وسؤال الوسيلة له قال وبالغ السبكي وغيره في الرد عليه بأن مثل ذلك لا يحتاج لإذن خاص ألا ترىٰ أن ابن عمر كان يعتمر عنه ﷺ عُمَرَاً بعد موته من غير وصية وحج ابن الموفق وهو في طبقة الجنيد عنه سبعين حجة وختم ابن السراج عنه ﷺ أكثر من عشرة آلاف ختمة وضحىٰ عنه مثل ذلك ا.هـ.

قلت ورأيت نحو ذلك بخط مفتي الحنفية الشهاب أحمد بن الشلبي شيخ صاحب البحر نقلاً عن شرح الطيبة للنويري ومن جملة ما نقله أن ابن عقيل من الحنابلة قال يستحب إهداؤها له ﷺ ا.هـ.

قلت: وقول علمائنا له أن يجعل ثواب عمله لغيره يدخل فيه النبي ﷺ فإنه أحق بذلك حيث أنقذنا من الضلالة ففي ذلك نوع شكر وإسداء جميل له والكامل قابل لزيادة الكمال وما استدل به بعض المانعين من أنه تحصيل الحاصل لأن جميع أعمال أمته في ميزانه يجاب عنه بأنه لا مانع من ذلك فإن الله تعالىٰ أخبرنا بأنه صلىٰ عليه ثم أمرنا بالصلاة عليه بأن نقول اللهم صل علىٰ محمد ا.هـ. كلام ابن عابدين ا.هـ. كلام فتح الملهم مجلد ٥ صـ٦٨: ٧٠.

Scanned by CamScanner

خاتمة مشتملة على فائدتين

الأولى: في خلاصة كلام المفسرين في قوله تعالى ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩].

الثانية: في خلاصة كلام الشراح لحديث (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له).

الفائدة الأولى:

في خلاصة كلام المفسرين لقوله تعالى ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم:٣٩] هذه الآية ظاهرها يدل على عدم انتفاع الإنسان بعمل غيره ولكن قد ورد في الكتاب والسنة ما هو قطعي في حصول الانتفاع بعمل الغير وهو ينافي ظاهر هذه الآية فلا بد من توجيهها لئلا يخالف الكتابُ السنةَ وإجماعَ الأمة وقد ذكر المفسرون في توجيهها وجوهاً هي:

١- أن الآية منسوخة بقوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الطور:٢١] وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ولم يرتض هذا أكثر المفسرين قال ابن عطية رحمه الله في تفسيره وهذا لا يصح عندي عن ابن عباس رضي الله عنهما لأنه خبر لا ينسخ ولأن شروط النسخ ليست هنا اللهم إلا أن يتجوز في لفظة النسخ ليفهم سائلاً.

٢- أن هذا الحكم كان في قوم إبراهيم وموسى عليهما السلام وشرع من قبلنا ليس بشرع لنا إلا إذا أتى ما يوافقه على قول بعض

Scanned by CamScanner

الأصوليين ولم يأت ما يوافقه.

وشرع من قبلنا شرع لنا إذا لم يأت في شرعنا ما يخالفه على قول بعض الأصوليين وقد أتى ما يخالفه لحديث سعد بن عبادة قال (يا رسول الله هل لأمي إن تطوعت عنها أجر قال نعم) دل الحديث وغيره من الدلائل الناصة على الانتفاع بعمل الغير أن هذه الأمة لها سعيها وسعي غيرها وهذا قول عكرمة.

٣- أن هذه الآية من العام المخصوص قال ابن عجيبة في تفسيره ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ محكم لا نسخ فيه وهو لفظ عام مخصص يعني أن المراد من الإنسان الكافر وهكذا استقرئ من لفظ الإنسان في القرآن وأما المؤمن فجاءت نصوص تقتضي انتفاعه بعمل غيره إذا وهب له من صدقة ودعاء وشفاعة واستغفار ونحو ذلك وإلا لم يكن فائدة لمشروعية ذلك فيتصور التخصيص في لفظ الإنسان وفي السعي بأن يخص الإنسان بالكافر أو السعي بالصلاة ونحو ذلك مما لا يقبل النيابة مثلا ا.هـ.

٤- أن الانتفاع بعمل الغير إنما هو إذا نوى العامل أن يكون ثواب عمله لغيره وأما إذا عمل عملاً لنفسه ولم ينو إهداء الثواب فحينئذ لا ينتفع به وإذا عمل ونوى أن يكون ثواب عمله لغيره صار بمنزلة الوكيل عنه وصار الغير منتفعاً بعمله حكماً فكأنه قيل وأن ليس للإنسان إلا ما سعى بنفسه حقيقة أو حكماً فإنَّ عمل الوكيل عمل للموكل حكماً ا.هـ انظر أحكام القرآن للعلامة محمد شفيع رحمه الله.

٥- أن اللام في قوله تعالى للإنسان لاختصاص الملك والمعنى أن الإنسان لا يملك إلا عمله وليس للإنسان أن يقول لي كذا إلا لعمله

Scanned by CamScanner

وسعيه وأما ما يكون من رحمة بشفاعة أو رعاية أب صالح أو ابن صالح أو تضعيف حسنات أو نحو ذلك فليس هو للإنسان ولا يسعه أن يقول لي كذا وكذا إلا على تجوز فحينئذ ليس في الآية ما ينافي إهداء الثواب إذ لا إهداء حقيقة إلا من المهدي وأما ملك المهدى له فكأنه بإعطاء المهدي أو بقبوله الذي هو عمله ورجح هذا التفسير ابن عطية.

٦- قال الحسن البصري هذا من باب العدل وأما بطريق الفضل فيزيد ما يشاء من فضله.

وسأل عبدالله بن طاهر بن الحسين والي خرسان الحسين بن الفضل عن هذه الآية مع قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٦١] فقال له ليس له بالعدل إلا ما سعى وله بفضل الله ما شاء الله فقبّل عبدالله رأس الحسين وقرر هذا الوجه شيخ مشايخنا العلامة المحقق عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني رحمه الله في معارج التفكر ودقائق التدبر مجلد ٢ صـ١٥٤:١٥٥.

بقوله القضية الثانية دل عليها قول الله عز وجل ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾.

أي وأن ليس للإنسان من حق رتبه الله له بفضله ابتداء فله الحق أن يطالب بأجره عند ربه إلا ما كسبه من حسنات وأعمال صالحات بسعيه في رحلة امتحانه في الحياة الدنيا وهذا لا يمنع من أن يصله شيء بفضل الله دون سعي منه وربما كان بسبب دعاء من يستجيب الله دعاءه له أو شفاعة من يأذن الله له بالشفاعة ويرضى له قولاً أو غير ذلك لكن لا يكون للإنسان حق المطالبة به عند ربه يوم الدين إنما يأتيه من فيض فضل الله عليه ويعطي بعض الناس هذه الآية ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ تعميماً ليس مقصوداً فيها فيفهم منها أنه لا يصل إلى الإنسان إلا ثواب ما سعى وهذا فهم غير صحيح لأن اللام في للإنسان هي لام الاستحقاق

Scanned by CamScanner

وليست لام الغاية.

وقد ثبت في السنة الحج عمن مات ولم يحج والصوم عمن مات وعليه صوم لم يصمه وغير ذلك من أعمال.

ومنع وصول فضل الله للإنسان إلا ثواب ما سعىٰ هو من الحجر علىٰ فضل الله وفيض جوده العظيم وتقطيع لما أمر الله به أن يوصل من وشائج الأخوة الإيمانية وعواطفها المتبادلة بين المؤمنين ا.هـ.

قال في تكملة فتح الملهم ج٢صـ٧٢.

وأوضحه العلامة ابن تيمية رحمه الله في فتاواه بقوله ليس له إلا سعيه وهذا حق فإنه لا يملك ولا يستحق إلا سعي نفسه وأما سعي غيره فلا يملكه ولا يستحقه لكن هذا لا يمنع أن ينفعه الله ويرحمه به وقال في موضع آخر من فتاواه لكن الجواب المحقق في ذلك أن الله تعالىٰ لم يقل أن الإنسان لا ينتفع إلا بسعي نفسه وإنما قال ليس للإنسان إلا ما سعىٰ فهو لا يملك إلا سعيه ولا يستحق غير ذلك وأما سعي غيره فهو له كما أن الإنسان لا يملك إلا مال نفسه ونفع نفسه فمال غيره ونفع غيره وهو كذلك للغير لكن إذا تبرع له الغير بذلك جاز وهكذا إذا تبرع له الغير بسعيه نفعه الله بذلك كما ينفعه بدعائه له والصدقة عنه وهو ينتفع بكل ما يصل إليه من كل مسلم سواء كان من أقاربه أو غيرهم كما ينتفع بصلاة المصلين عليه ودعائهم له عند قبره ا.هـ. والله أعلم.

Scanned by CamScanner

الفائدة الثانية:

خلاصة كلام الشراح لحديث إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث.

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)

رواه الإمام أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه كتاب الوصايا وأبو داود والنسائي والترمذي وقال حسن صحيح والطحاوي والدارمي من حديث أبي هريرة ﷺ.

قال الحافظ السخاوي رحمه الله ووقع هذا الحديث للرافعي وغيره من كتب الفقه بإسقاط إلا الثانية وهو كذلك في الترمذي والنسائي والدارمي ا.هـ.

وروى أبو نعيم في الحلية من رواية محمد بن عبيدالله العزرمي وهو ضعيف عن قتادة عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (سبع تجري للعبد أجرها بعد موته وهو في قبره من علم علماً أو أجرى نهراً أو حفر بئراً أو غرس نخلاً أو بنى مسجداً أو ورث مصحفاً أو ترك ولداً فيستغفر له بعد موته) وهو عند البزار والديلمي في مسنديهما والبيهقي في الشعب وابن السماك في فوائده كلهم من طريق العزرمي أيضاً.

وأشار الرافعي إلى هذا الحديث بقوله من حفر نهراً أو أنبط عيناً أو غرس شجرة أو وقف مصحفاً إذا صدرت من الحي فهي صدقات جارية عليه كما ورد في الخبر وقال في الروضة كما صح في الحديث

Scanned by CamScanner

وأخرج ابن ماجه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً نشره وولداً صالحاً تركه ومصحفاً ورثه ومسجداً بناه وبيتاً لابن سبيل بناه ونهراً أجراه وصدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته).

ولأحمد من حديث ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن أبي أمامة الباهلي ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال (أربعة تجري عليهم أجرهم بعد الموت مرابط في سبيل الله ورجل عمل عملا) وفي رواية له (علم علماً فأجره يجري عليه ما عمل به ورجل تصدق بصدقة فأجرها له ما جرت ورجل ترك ولداً صالحاً فهو يدعو له).

وهو عند البزار والطبراني في الكبير والأوسط أيضاً وكذا سعيد بن منصور لكن موقوفاً على أبي أمامة.

وليس بين حديثي السبع والأربع والثلاث مخالفة لكون السبع كما قال الحافظ الزين العراقي رحمه الله راجعة إلى الثلاثة قال من الصدقة الجارية إجراء النهر وحفر البئر وبناء المسجد وغرس النخل فإنه ورد من غرس نخلاً فما أكل منه فله به صدقة فهو من الصدقة التي تجري بعده وأما توريث المصحف فهو من نوع العلم المنتفع به وينبغي أن يكون كتب العلم كذلك انتهى.

وقد سبقه لنحو ذلك البيهقي حيث قال في شعب الإيمان إن ذلك لا يخالف الحديث الصحيح فقد قال فيه (إلا من صدقة جارية) وهي تجمع ما ورد من الزيادة.

Scanned by CamScanner

قال السخاوي وتبع العراقي تلميذه شيخنا رحمهما الله تعالىٰ يعني الحافظ ابن حجر فقال وهذا الحديث لا زيادة فيه لأن العلم والولد مذكوران والصدقة يدخل فيها بقية ما ذكر من بناء المسجد وبيت ابن السبيل والنهر والبئر والنخل والمصحف.

قال وأما حديث أبي أمامة يعني الذي فيه الرباط فإنه يدل علىٰ أن الحصر بالثلاث كان قبل تلك الخصلة الرابعة لأنه اشتمل عليها وعلىٰ الثلاث.

وقال شيخه العراقي ما نصه في حديث أبي أمامة ذكر المرابط وهو لا شك فيه وأولىٰ بذلك بل ورد ما يوهم اختصاص ذلك به في حديث فضالة بن عبيد ﷺ حيث قال فيه كل ميت يختم علىٰ عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله فإنه ينمىٰ له عمله إلىٰ يوم القيامة.

فهو ملحق بهم قطعاً وإنما اختص عنهم بكونه يجري له جميع عمله الذي كان يعمل في الدنيا في الرباط وغيره بخلاف المذكورين فإنه إنما تجري بعدهم الجنس الذي كانوا أسباباً فيه من العلم والولد والصدقة الجارية.

قال السخاوي ونحوه قول القرطبي في تفسيره الثلاثة ينقطع بنفاد الصدقات وذهاب العلم وموت الولد وأما الرباط فيضاعف أجره إلىٰ يوم القيامة لأنه لا معنىٰ للنمو إلا المضاعفة وهي غير موقوفة علىٰ سبب فينقطع بانقطاعه بل هي فضل دائم من الله تعالىٰ إلىٰ يوم القيامة وهذا لأن أعمال البر كلها لا يتمكن منها إلا بالسلامة من العدو والتحرز منهم بحراسة بيضة الدين وإقامة شعائر الإسلام وجمع بينهم الحافظ الإمام الطحاوي رحمه الله بقوله الثلاثة أعمال تحدث بعد وفاته فلا تنقطع عنه ويلحقه منها ثواب فذلك بخلاف المرابط فإنه ينمو له عمله الذي قدمه في حياته انتهىٰ.

Scanned by CamScanner

وحديث فضالة المذكور أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وقال حسن صحيح والحاكم وقال صحيح زاد ابن دقيق العيد في الإمام على شرط مسلم وكذا صححه ابن حبان.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (ما من رجل تشرح لسانه حقاً يُعمل به بعده إلا جرىٰ أجره إلىٰ يوم القيامة ثم وفاه الله ثوابه يوم القيامة) رواه أحمد وفيه من لم يعرف وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان.

وهو داخل في العلم المنتفع به كما أنه يدخل فيه ناسخ العلم حسبما صرح به الحافظ المنذري فإنه قال وناسخ العلم النافع له أجره وأجر من قرأه أو نسخه أو عمل به من بعده ما بقي خطه والعمل به لهذا الحديث وأمثاله.

وناسخ غير العلم النافع مما يوجب الإثم عليه وزره ووزر من قرأه أو نسخه و عمل به من بعده ما بقي خطه والعمل به للأحاديث الواردة في ذلك منها (من سن سنة حسنة أو سيئة) انتهىٰ أقول والحديث رواه مسلم في كتاب العلم باب من سن سنة حسنة أو سيئة من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ.

قال العلامة الزيلعي في تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وأما قول النبي ﷺ (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث) فلا يدل علىٰ انقطاع عمل غيره والكلام فيه وليس فيه شيء مما يستبعد عقلاً لأنه ليس فيه إلا جعل ما له من الأجر لغيره والله تعالىٰ هو الموصل إليه وهو قادر عليه ولا يختص ذلك بعمل دون عمل ا.هـ.

Scanned by CamScanner

قال ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية:

وأما استدلالهم بقوله ﷺ (إذا مات ابن آدم انقطع عمله) فاستدلال ساقط فإنه لم يقل انقطع انتفاعه وإنما أخبر عن انقطاع عمله وأما عمل غيره فهو لعامله فإن وهبه له وصل إليه ثواب عمل العامل لا ثواب عمله هو وهذا كالدين يوفيه الإنسان عن غيره فتبرأ ذمته ولكن ليس له ما وفى به الدين ا.هـ.

قال العلامة الخطيب الشربيني في تفسيره ج٤صـ١٣٢ في تفسير سورة النجم عند قوله تعالى ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ ما نصه قال الشيخ تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية من اعتقد أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله فقد خرق الإجماع وذلك باطل من وجوه كثيرة:

أحدها: أن الإنسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير.

ثانيها: أن النبي ﷺ يشفع لأهل الموقف في الحساب ثم لأهل الجنة في دخولها ثم لأهل الكبائر في الخروج من النار وهذا انتفاع بعمل الغير.

ثالثها: أن كل نبي وصالح له شفاعة وذلك انتفاع بعمل الغير.

رابعها: أن الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الأرض وذلك منفعة بعمل الغير.

خامسها: أن الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيراً قط بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم.

سادسها: أن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم وذلك انتفاع بمحض عمل الغير.

Scanned by CamScanner

سابعها: قال تعالىٰ في قصة الغلامين اليتيمين ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف:٨٢] فانتفعا بصلاح أبيهما وليس هو من سعيهما.

ثامنها: أن الميت ينتفع بالصدقة عنه والعتق بنص السنة والإجماع وهو من عمل الغير.

تاسعها: أن الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير.

عاشرها: أن الحج المنذور أو الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير.

حادي عشرها: أن المدين الذي امتنع ﷺ من الصلاة عليه حتىٰ قضىٰ دينه أبو قتادة وقضىٰ دين الآخر علي بن أبي طالب وانتفع بصلاة النبي ﷺ وبردت جلدته بقضاء دينه وهو من عمل الغير.

ثاني عشرها: أن النبي ﷺ قال (لمن صلىٰ وحده ألا رجل يتصدق علىٰ هذا فيصلي معه) أحمد وأبو داود والدارمي فقد حصل له فضل الجماعة بفعل الغير.

ثالث عشرها: أن الإنسان تبرأ ذمته من ديون الخلق إذا قضاها قاض عنه وذلك انتفاع بعمل الغير.

رابع عشرها: أن الجار الصالح ينفع في الحياة والممات كما جاء في الأثر وهذا انتفاع بعمل الغير.

خامس عشرها: أن جليس أهل الذكر يرحم بهم وهو لم يكن منهم ولم يجلس لذلك بل لحاجة عرضت له والأعمال بالنيات فقد انتفع بعمل غيره.

Scanned by CamScanner

سادس عشرها: الصلاة على الميت والدعاء له في الصلاة انتفاع للميت بصلاة الحي عليه وهو عمل غيره.

سابع عشرها: أن الجمعة تحصل باجتماع العدد وكذلك الجماعة بكثرة العدد وهو انتفاع للبعض بالبعض.

ثامن عشرها: أن الله تعالى قال لنبيه ﷺ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال:٣٣] وقال تعالى ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ [الفتح:٢٥] وقال تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [البقرة:٢٥١] فقد دفع الله تعالى العذاب عن بعض الناس بسبب بعض وذلك انتفاع بعمل الغير.

تاسع عشرها: أن صدقة الفطر تجب عن الصغير وغيره ممن يمونه الرجل فينتفع بذلك من يخرج عنه ولا سعي لهم.

عشرونها: أن الزكاة تجب في مال الصبي والمجنون ويثاب على ذلك ولا سعي له ومن تأمل العلم وجد من انتفاع الإنسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى فكيف يجوز أن تُتؤل الآية – يعني والحديث – على خلاف صريح الكتاب والسنة وإجماع الأمة ا.هـ.

أقول وفي الفتاوى لابن تيمية مجلد ١٢ ج ٢٤ صـ١٧٠ قول ابن تيمية الحمد لله رب العلمين ليس في الآية – يعني وأن ليس للإنسان إلا ما سعى – ولا في الحديث – يعني إذ مات ابن آدم – أن الميت لا ينتفع بدعاء الخلق له وبما يُعمل عنه من البر بل أئمة الإسلام متفقون على انتفاع الميت بذلك وهذا مما يُعلم بالاضطرار من دين الإسلام وقد دل عليه الكتاب والسنة والإجماع فمن خالف ذلك كان من أهل البدع ا.هـ وبهذا اتضح الجواب والحمد لله على التمام.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

Scanned by CamScanner

فهرس الجواب المرسخ في بعض أحوال أهل البرزخ

الموضوع	الصفحة

تصدير ٥

البـرزخ ٧

إثبات حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ٩

في البرزخ وأنها حياة حقيقية..... ٩

أولاً: الأدلة القرآنية..... ٩

ثانياً: الأدلة من السنة النبوية الشريفة ١٢

فائدة ٢١

ثالثاً دلالة الإجماع.....٢٢

رابعاً نصوص العلماء في الباب.....٢٣

إثبات حياة الشهداء في قبورهم:.....٣٤

إثبات حياة الصديقين والأولياء والصالحين:.....٣٧

إثبات حياة سائر المؤمنين.....٤٢

إثبات إدراك أهل القبور من غير المؤمنين: ٤٤

إثبات سماع الموتى ورؤيتهم ٤٥

فهرس الجواب المرسخ في بعض أحوال أهل البرزخ

Scanned by CamScanner

الموضوع	الصفحة

قال ابن رجب الحنبلي في أهوال القبور.....٤٨

أقول ونظيره ما حكاه الله تعالىٰ من قول الكفار يوم القيامة زيادة في توبيخهم لأنفسهم.....٤٨

مسألة مهمة.....٥٥

وهاك هذه الفائدة النفيسة.....٥٨

ونص الشافعية والمالكية علىٰ استحباب استقبال القبر الشريف.....٥٨

أما الفقرة الثانية وهي رؤيتهم للأحياء.....٥٩

إثبات كلام الموتىٰ ودعائهم.....٦٣

أما دعاء الميت.....٦٤

إثبات تزاور الأموات وتأذيهم مما يتأذىٰ منه الأحياء.....٦٦

وفي صحيح مسلم (إذ ولي أحدكم أخاه فليحسن كفنه).....٦٦

وقد نص فقهاء الحنفية أنه يسن تحسين الكفن لأن الموتىٰ يتفاخرون.٦٦

فائدة في الدفن في الأرض المباركة ومجاورة الصالحين.....٦٧

إثبات ما ورد من تصرف الموتىٰ.....٦٩

وصدور أمور منهم بقدرة الله عز وجل.....٦٩

إثبات الكرامات للأولياء في البرزخ.....٧٣

Scanned by CamScanner

فهرس الجواب المرسخ في بعض أحوال أهل البرزخ

الموضوع	الصفحة
الكرامة هي أمر خارق للعادة	٧٣
والإيمان بكرامات الأولياء من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة	٧٣
والكرامات المذكورة في الكتاب والسنة كثيرة منها	٧٤
وأما ما جاء في السنة فشيء تصعب الإحاطة به ولا بأس من ذكر شيء منه	٧٦
ومن الأدلة على وجود الكرامات بعد الانتقال للبرزخ ما يلي	٧٨
فائدة	٨٢
قال شيخ مشايخنا محمد يحيى دوم الأهدل رحمه الله	٨٢
أقول وقدمت لك طائفة من الكرامات الواقعة بعد الموت	٨٣
قال العلامة البجيرمي رحمه الله وقع السؤال في الدرس عما لو قرأ الميت آية السجدة كرامة فهل يسجد السامع له أم لا؟	٨٤
قال العلامة إبراهيم السمنودي في سعادة الدارين	٨٤
نعم كانت صحبته ﷺ تأخذ بيد من في الحضيض فترفعه	٨٦
وجاه الأنبياء عند الله عز وجل عظيم وقد نص القرآن على ذلك	٨٧

Scanned by CamScanner

فهرس الجواب المرسخ في بعض أحوال أهل البرزخ

الموضوع	الصفحة
وإذا ثبت مشروعية الزيارة لهم فلا فرق بعد ذلك	٨٨
من هنا نفهم أن حب الصالحين أحياءً وأمواتاً	٩٠
إذن ليس اللوم على من يحب أولياء الله تعالى وأحبابه	٩٠
هذا هو الذي يتوجه عليه اللوم	٩١
وإن من الأضاحيك أن يقول القائل إن التوسل والاستشفاع جائز إذا كان بالأحياء	٩١
نحن ما قلنا يوماً إن المنح التي يمنحها الله عز وجل لصالحي عباده هم الذين يخلقونها	٩١
وإنا نأسف أشد الأسف لهذا العقل	٩٢
ولعل ذلك الفريق يرى أن الميت صار كالحجر	٩٢
وهذا القرآن يصرح أن الشهداء أحياء يرزقون أي يأكلون	٩٣
ثم كثيراً ما ترى بعض الناس يستغيث بنبي أو ولي	٩٤
فالمتوسل والمستشفع والمستغيث لا يرفع حاجته إلا إلى ربه	٩٤

Scanned by CamScanner

فهرس الجواب المرسخ في بعض أحوال أهل البرزخ

الموضوع	الصفحة
وإن قال هذا الفريق إن هذه الاستغاثة والاستشفاع والتوسل بالأموات لم تكن في الصدر الأول	٩٥
فإن قالوا إننا ننسب تلك الأفعال والتأثيرات إلى غير الله تعالى	١٠٤
أولاً: لا يلزم من ذلك أن يكون الطلب شركاً	١٠٥
ثانياً: ثم نقول لهم ما معنى قولكم إن الميت لا يقدر على شيء وما سره وباطنه عندكم؟	١٠٥
أيعتقدون أن الشهداء أحياء عند ربهم كما نطق القرآن بذلك أم لا؟	١٠٥
والخلاصة:	١٠٨
أنه لا يكفر المستغيث إلا إذا اعتقد الخلق والإيجاد لغير الله تعالى والتفرقة بين الأحياء والأموات لا معنى لها فإنه إن اعتقد الإيجاد لغير الله كفر على خلاف للمعتزلة في خلق الأفعال وإن اعتقد التسبب والاكتساب لم يكفر.	١٠٨
إثبات انتفاع الأحياء بأهل البرزخ	١١٠
وانتفاع أهل البرزخ بالأحياء	١١٠

Scanned by CamScanner

فهرس الجواب المرسخ في بعض أحوال أهل البرزخ

الموضوع	الصفحة
الأولى انتفاع الأحياء بأهل البرزخ، والثانية انتفاع أهل البرزخ بالأحياء	١١٠
أما الفقرة الثانية: وهي انتفاع الأموات بالأحياء فدلائلها كثيرة وصورها عديدة ومظاهرها واضحة فمن ذلك	١١٤
ومن شواهد حديث التلقين	١١٩
واستحب التلقين الشافعية والمالكية	١١٩
وذهب الشافعي أيضاً إلى استحباب الدعاء عقيب الدفن	١٢١
فصل ولا بأس بالقراءة عند القبر فاقرؤوا آية الكرسي	١٢٤
قال ابن عابدين ويؤخذ من الحديث ندب وضع ذلك للاتباع	١٢٥
وفي رد المحتار أيضاً يكره قطع النبات الرطب والحشيش من المقبرة	١٢٥
وقال ابن حجر المكي في التحفة يسن وضع جريدة خضراء	١٢٦
قال ابن الملقن استحب العلماء كما نقله النووي وغيره عنهم قراءة القرآن عند القبر	١٢٦

Scanned by CamScanner

فهرس الجواب المرسخ في بعض أحوال أهل البرزخ

الموضوع	الصفحة
قال الإمام الخطابي فيه دليل على استحباب تلاوة الكتاب العزيز على القبور	١٢٦
ومما ينتفع به الأموات من الأحياء	١٢٧
أحدهما: نفس الدعاء وثوابه للداعي لا للميت	١٢٧
ومن أدلة نفع الدعاء	١٢٨
وفي الدعاء للجنازة اللهم اغفر لحينا وميتنا قال الشافعي رحمه الله .	١٢٨
ومن دعائه صلى الله عليه وآله وسلم عند زيارة القبور	١٢٨
قال في فتح الملهم فيه جواز الصدقة عن الميت	١٢٨
قال الرافعي رحمه الله ويستوي في الصدقة والدعاء الوارث والأجنبي	١٢٩
تتمة	١٣٥
ذكر ابن حجر في الفتاوى الفقهية أن الحافظ ابن تيمية زعم منع إهداء ثواب القراءة للنبي ﷺ	١٣٥
قلت ورأيت نحو ذلك بخط مفتي الحنفية	١٣٥

Scanned by CamScanner

فهرس الجواب المرسخ في بعض أحوال أهل البرزخ

الموضوع	الصفحة
قلت: وقول علمائنا له أن يجعل ثواب عمله لغيره يدخل فيه النبي ﷺ	١٣٥
خاتمة مشتملة على فائدتين	١٣٦
الفائدة الأولى	١٣٦
في خلاصة كلام المفسرين	١٣٦
وشرع من قبلنا شرع لنا	١٣٧
وقد ثبت في السنة الحج عمن مات	١٣٩
ومنع وصول فضل الله للإنسان إلا ثواب ما سعى	١٣٩
وأوضحه العلامة ابن تيمية رحمه الله في فتاواه بقوله ليس له إلا سعيه	١٣٩
الفائدة الثانية	١٤٠
خلاصة كلام الشراح لحديث إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث	١٤٠
قال ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية	١٤٤

Scanned by CamScanner

فهرس الجواب المرسخ في بعض أحوال أهل البرزخ

الموضوع	الصفحة
أحدها: أن الإنسان ينتفع بدعاء غيره	١٤٤
ثانيها: أن النبي ﷺ يشفع لأهل الموقف في الحساب	١٤٤
ثالثها: أن كل نبي وصالح له شفاعة	١٤٤
رابعها: أن الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الأرض	١٤٤
خامسها: أن الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيراً قط	١٤٤
سادسها: أن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة	١٤٤
سابعها: قال تعالى في قصة الغلامين اليتيمين	١٤٥
ثامنها: أن الميت ينتفع بالصدقة عنه والعتق	١٤٥
تاسعها: أن الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه	١٤٥
عاشرها: أن الحج المنذور أو الصوم المنذور يسقط عن الميت	١٤٥
حادي عشرها: أن المدين الذي امتنع ﷺ من الصلاة عليه	١٤٥
ثاني عشرها: أن النبي ﷺ قال (لمن صلى وحده ألا رجل يتصدق على هذا فيصلي معه)	١٤٥
ثالث عشرها: أن الإنسان تبرأ ذمته من ديون الخلق	١٤٥

Scanned by CamScanner

فهرس الجواب المرسخ في بعض أحوال أهل البرزخ

الموضوع	الصفحة
رابع عشرها: أن الجار الصالح ينفع في الحياة والممات	١٤٥
خامس عشرها: أن جليس أهل الذكر يرحم بهم	١٤٥
سادس عشرها: الصلاة على الميت والدعاء له	١٤٦
سابع عشرها: أن الجمعة تحصل باجتماع العدد	١٤٦
ثامن عشرها: أن الله تعالى قال لنبيه ﷺ	١٤٦
تاسع عشرها: أن صدقة الفطر تجب عن الصغير وغيره	١٤٦
عشرونها: أن الزكاة تجب في مال الصبي والمجنون ويثاب على ذلك	١٤٦
أقول وفي الفتاوى لابن تيمية	١٤٦

Scanned by CamScanner